بِدَايَةُ الهِدَايَةِ

لمعرفة دينك
بأسلوب سهل وميسر

أصول الإيمان

لأم تميم
الدكتورة/عزة محمد

دار ابن رجب

بداية الهداية

لمعرفة دينك

بأسلوب سهل وميسر

أصول الإيمان

لأم تميم

الدكتورة/ عزة محمد

دار ابن رجب **دار الفوائد**

من إصدارات المؤلفة

- **الفقه الميسر** (ستة مجلدات) فقه مقارن - مكتبة مكة - **القاهرة** - طنطا (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- **الفروق الفقهية في الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة** - رسالة دكتوراة - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **أمراض القلوب** - خمسة وثلاثون مرضًا من أمراض القلوب وطرق علاجها - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- **التعليقات الجلية على العقيدة السفارينية** - للإمام السفاريني (مجلدان)- دار الآثار - القاهرة (ت: ٠٢٢٥١٢٥١٨٤).
- **الفتوحات الربانية في تفسير أسماء الله الحسنى** (مجلدان) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية** - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **الدرر البهية** - بيان التوحيد الصحيح من الكتاب والسنة - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- **المحجة البيضاء** - في بيان أهمية التمسك بالسنة وبيان البدع وأنواعها - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- **محمد رسول الله ﷺ كأنك تراه** - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).

- **بيان قدر الصحابة عند الله العظيم وضلال الشيعة الخاسرين** - مكتبة آل ياسر - القاهرة (ت: ٠١١١٢٤٥٨٤٤٤).

المجموعات العلمية للمبتدئين:

- **مجموعة بداية الهداية - لمعرفة دينك بأسلوب سهل ميسر** (أصول الإيمـان - تفسير القرآن - حديث - فقه العبادات) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- **مجموعة النور الساطع للجيل الصاعد من عمر ١٢ عام** (تفسير القرآن - مجمل الاعتقاد - حديث - فقه) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

الموقع الرسمي لأم تميم
www.omtameem.com
الصفحة الرسمية لأم تميم على فيسبوك
https://www.facebook.com/Om.Tameem.Dr.Azza.Mohamed

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد؛ فإن المسلم يجد نفسه في هذا الزمان أمام كم هائل من المعلومات يتلقاها عبر وسائل التواصل الاجتماعي (الإنترنت) وعبر شاشات التليفزيون وغير ذلك.

ولا يعلم لمن يسمع، ومن يتبع، ومن معه الحق، ومن على الباطل.

والسؤال إذن: كيف يميز المرء بين الحق والباطل؟

والجواب: أن الوسيلة الوحيدة –بعد تقوى الله– للوصول إلى الحق، والتمييز بينه وبين الباطل هي دراسة العلوم الشرعية.

وانطلاقًا من ذلك، عزمت بحول الله وقوته على إعداد مجموعة من الكتب العلمية لتعليم المبتدئين من المسلمين أصول دينهم، وما تحصل به الكافية من العلوم الشرعية، وقد حرصت على ذكر الأدلة من الكتاب والسنة باختصار حتى يسهل على القارئ الحفظ والفهم معًا، وكذا أقوال الأئمة أوردتها باختصار لهذا السبب، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾.

وقد وسمتُها بـ«بداية الهداية»، وتحوي هذه المجموعة أربعة كتب، هي:

١ - أصول الإيمان:

وهو أهم علم يجب على المسلم أن يتعلمه، فإذا صح إيمان العبد صح دينه، وإذا فسد إيمان العبد –بالبدع والمفاهيم الخاطئة– فسد دينه، ولذلك كان من الأهمية بمكان تصنيف كتاب يحوي العقيدة الصحيحة التي ينبغي على المسلم أن يتعلمها ويعتقدها ويعمل بها.

ويبقى سؤال: ما معنى العقيدة؟

معنى العقيدة في اللغة العربية: شدَّ، وشدَّة، ووثق[1]، فأصل الكلمة

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٨٦).

من العقد، وهو الربط والشَّد.

والمعنى عند العلماء: هو الاعتقاد الجازم في القلب، فإن كان مطابقًا للواقع فهو صحيح، وإن كان مخالفًا للواقع ففاسد.

إذن؛ فالعقيدة محلها القلب، وكذلك الإيمان أصله تصديق القلب ثم عمل الجوارح، ولهذا يطلق العلماء على كتب الإيمان اسم: العقيدة، والاعتقاد، وأصول الاعتقاد، وغير ذلك.

٢- الفقه:

وهذا العلم غاية في الأهمية؛ لأنه ينبني عليه صحة العبادة.

مثال: إذا أراد شخص أن يصلي، فكيف يصلي؟ وما هي أركان وواجبات الصلاة؟ وما هي مبطلات الصلاة؟ إلى غير ذلك، فإن لم يعلم فقه الصلاة حتمًا سيقع في جملة من الأخطاء التي قد تفسد صلاته، وهو لا يدري.

٣- تفسير القرآن:

القرآن كلام الله تعالى، جاءت فيه الأحكام والأوامر والنواهي، والقصص للعبرة والاتعاظ، وغير ذلك.

وبالقرآن تحيا القلوب وتستنير العقول، وبه تُعالج أمراض القلوب، فلا شفاء للقلب، ولا طمأنينة للنفس، ولا سعادة إلا في تلاوة كتاب الله وتدبره، وفهمه، والعمل به.

٤- الحديث:

من الأهمية بمكان دراسة أحاديث رسول الله ﷺ، فقد ذكر الله تعالى أكثر الأوامر والنواهي والأحكام في القرآن على وجه الإجمال، ثم جاءت الأحاديث الصحيحة التي رُويت عن رسول الله ﷺ لتُبين ما أجمل القرآن.

على سبيل المثال: قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، كيف نصلي؟ وما هي ركعات كل صلاة؟ وما هي أركان وواجبات وسنن الصلاة؟ إلى غير ذلك من أحكام لم تأتِ في القرآن، وإنما علمناها من السنة، وكذلك الزكاة، ونصاب الزكاة، ومتى نزكي؟ إلى غير ذلك، جاء في السنة ولم يأت تفصيل ذلك في القرآن.

فلا غنى للإسلام والمسلمين عن سنة رسول الله ﷺ، والتي تتمثل في الأحاديث الصحيحة التي سمعها منه الصحابة رضي الله عنهم، وسمعها التابعون من الصحابة، ثم رُويت بأسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ.

هذه نبذة مختصرة عن هذه المجموعة العلمية لمعرفة أصول الدين، وهذا الكتاب الذي بين يديك هو أول كتاب صدر من هذه المجموعة، ألا وهو كتاب «أصول الإيمان».

وختامًا: أسأل الله جل في علاه أن ينفع المسلمين بهذا العلم، وأن يجعله عونًا لهم على العمل، وأن يشرح صدور الدعاة -رجالًا ونساء- إلى تدريس هذه المجموعة التي أسأل الله أن يجعلها مباركة، ويجعلها ذخرًا لي عنده يوم العرض عليه.

وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يقيض من أهل الفضل والصلاح من يتولى ترجمة هذه المجموعة إلى عدة لغات؛ ليعم النفع على جميع المسلمين في شتى بقاع الأرض ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم]، فما أحوج المسلمين إلى منهج سهل بسيط يُيسر عليهم معرفة دينهم بغير اختصار مُخل، ولا إسهاب يصعب معه على الطالب المبتدئ الاستفادة منه، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أم تميم

عزة بنت محمد رشاد بن حسن شاهين

الجمعة ٩ شوال ١٤٣٩هـ

٢٢ يونيه ٢٠١٨م

الإيمان بالله

جملة ما نعتقده ونؤمن به

١ - أن الله تعالى إله واحد لا إله إلا هو، لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

٢ - وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

أرسله بالهدى ودين الحق، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٣- وأن الله تعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

٤ - وأن الشرع الذي أمرنا الله به هو الإسلام، ومن مات على غير دين الإسلام لن يقبل الله عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١﴾ [آل عمران].

الإسلام له معنيان؛ المعنى العام، والمعنى الخاص:

المعنى العام للإسلام: هو الدين الذي شرعه الله تعالى، وبعث به جميع الرسل، حتى خُتموا بنبينا ﷺ، لا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به، قال

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩].

معنى الآية: أن الدين الذي يجب على العباد أن يعبدوا الله به، ويدان به هو الإسلام، وهو الاستسلام لله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، والإخلاص له، مع كمال الحب، والخوف، والخشوع له، والانقياد لأوامره، وترك كل ما نهى عنه(١).

دليل أن الإسلام بالمعنى العام دين جميع الرسل:

قال أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ [يونس: ٧٢].

وقال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨].

وقال يعقوب لبنيه عند الموت: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة:١٣٣].

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس:٨٤].

وقال تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري للآية (٦/ ٢٧٥)، وابن كثير (٢/ ٢٥)، والسعدي (ص: ١٢٤)، والقرطبي (٤/ ٤٣-٤٤)، وغيرهم.

بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران:٥٢].

وغيرها من الآيات الدالات على أن الإسلام بمعنى توحيد الله الواحد الأحد هو دين جميع الرسل.

الإسلام بالمعنى الخاص: هو دين نبينا ﷺ، والشرع الذي جاء به من عند الله، لا يُقبل بعد مبعث رسولنا ﷺ دينٌ غيره.

قال ابن كثير –رحمه الله–، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]: إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته محمدًا ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران:٨٥] (١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ [آل عمران:٩١].

وقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا**

(١) انظر: تفسير ابن كثير للآية (٢/ ٢٥).

كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[١].

٥- وأن عيسى عبد الله ورسوله، خلقه الله تعالى من غير أب.

فالذي خلق آدم بغير أب، ولا أم، قادر -من باب أولى- أن يخلق عيسى من غير أب، فالله تعالى خلق آدم عليه السلام من تراب ثم قال له «كن»، فكان بشرًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة].

وقال الله عن عيسى أنه قال عن نفسه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾ [مريم]، ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله.

٦- نؤمن بأن الإسلام بُني على خمس.

كما قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[٢].

٧- نؤمن أن الشهادة باللسان وتصديق من صميم القلب أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، وغيره.
(٢) أخرجه مسلم (١٦).

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، وأنه لا يستحق العبادة إلا الله تعالى وحده، فلا نشرك معه أحدًا في عبادته - لا ملك من الملائكة ولا نبي ولا ولي-، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن].

معنى العبادة: في لغة العرب: الطاعة والخضوع(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة(٢).

فكل عمل يحبه الله ويرضاه يعد عبادة، مثال: الصلاة، والصيام، وتلاوة القرآن، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار واليتيم والفقراء والمساكين، وغير ذلك من الأعمال الظاهرة -التي يحبها الله- عبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، والإخلاص في الأعمال، والصبر، والتوكل على الله، والرضا بقضائه، والخوف من عذاب الله، وغير ذلك من الأعمال الباطنة -التي يحبها الله- عبادة، وهذه العبادات من أعمال القلوب.

والسعي في خدمة المسلمين عبادة، ودفع الكرب والهم عن المسلم بكلمات قليلة تذكره برحمة الله وإحسانه عبادة، وغير ذلك.

فكل عمل أو قول يحبه الله ويرضاه عبادة، إذا ابتغي به وجه الله.

٨- نؤمن بوجوب عبادة الله تعالى حتى الموت.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر]، قال

---

(١) لسان العرب (٦/ ٤٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

علماء التفسير: ﴿ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾: الموت.

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو موقن به[١].

٩- واعلم أن العمل لا يُقبل إلا بشرطين.

الإخلاص والاتباع، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: ما كان موافقًا لشرع الله، ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان شرطا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة محمد ﷺ[٢].

والإخلاص: أن يعمل العبد العمل يريد به وجه الله، لا يريد الثناء والمدح من الناس، ولا يريد تحصيل مصلحة دنيوية، ولا غير ذلك.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

قال الله عز وجل في الحديث القدسي؛ كما أخبرنا رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا،**

---

(١) جامع البيان (٨/ ٩٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٩/ ١٩١) ط. ابن رجب.
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وغيره.

وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[١].

الشرط الثاني: الاتباع: أي: أن تكون العبادة كما كان يفعلها النبي ﷺ، فتصلي كما كان يصلي، وتصوم كما كان يصوم، وتذكر الله كما كان يذكر، وهكذا في كل عبادة.

قال رسول الله ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[٢]، وكان يقول للناس في الحج: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[٣].

١٠- وكل عمل ليس على هدي النبي ﷺ يُرد على صاحبه، ولا يقبله الله.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[٤].

وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٥].

قال النووي رحمه الله: قال أهل العربية: (الرد) هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كَلِمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات[٦].

أي: المخترعات في الدين؛ كمن صلى أو صام أو قرأ القرآن أو ذكر الله تعالى أو غير ذلك بطريقة لم يفعلها النبي ﷺ، ولم يأمر بها.

١١- نؤمن بأن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٣١)، ومسلم (٦٧٤).
(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٧).
(٤) أخرجه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٨).
(٥) أخرجه مسلم (١٨ - ١٧١٨).
(٦) شرح مسلم للنووي (٦/ ٢٥٧).

وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة جميعًا[١]، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة جدًّا.

أولًا: الأدلة على أن الإيمان قولٌ[٢]:

قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِالله، فَاسْتَقِمْ**»[٣].

ولا بد من التصديق الجازم بالقلب -تصديق لا شك فيه- أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فقول اللسان لا ينفع صاحبه إلا بإقرار وتصديق القلب، ودليل ذلك:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٤].

قال الإمام اللَّالَكائي رحمه الله في معرض كلامه عن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح... إلى أن قال: والدلالة على

---

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص: ٢٦٤)، شرح السنة للبربهاري (ص: ٥٢)، والإبانة لابن بطة (٢/ ٣٩٧)، أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ١٠٩-١٣٣)، والشريعة للآجري (ص: ٩٦، ٩٧)، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية مملوءة بهذه العقيدة.

(٢) ومن العلماء من فصَّل في هذه المسألة، فجعل القول يشمل: قول اللسان، وقول القلب، والعمل يشمل: عمل الجوارح، وعمل القلب. انظر كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧١)، (٧/ ٣٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٦٢-٣٨)، وغيره.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤-٢٧).

أنه اعتقاد بالقلب قوله: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧]، وذكر أدلة أخر(١).

ثانيًا: الأدلة على أن الإيمان عمل:

والمقصود بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح، فعمل القلب: هو الإخلاص وغيره من أعمال القلوب، وأعظمها حب الله وتعظيمه، وحب رسوله ﷺ وتوقيره، ومنها الخوف، والرجاء، والصدق، والرضا، واليقين، والخشية إلى غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

فجعل الله تعالى الإخلاص من الدين، والخشوع من الإيمان، وكلاهما محله القلب.

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٢).

فدل الحديث على أن تغيير المنكر بالقلب إيمان، ومن أعمال القلوب.

ودليل عمل الجوارح: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٥/ ١٠٨-١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

﴿إِيمَٰنَكُمۡ﴾، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، قبل تحويل القبلة إلى الكعبة[١]، فدلت الآية على أن الصلاة -وهي عمل الجوارح- إيمان، والصلاة أيضًا من العبادات الجامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في أكثر من موضع في القرآن، إلى غير ذلك من الأدلة وهي كثيرة جدًّا.

وقال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[٢].

فدل الحديث على أن القول (وهو لا إله إلا الله) إيمان، والعمل (وهو إماطة الأذى عن الطريق) إيمان، والحياء (وهو عمل من أعمال القلوب) إيمان.

وهذا حديث من الأحاديث الكثيرة التي جاءت فيها حقيقة الإيمان، أنه قول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

أما دليل زيادة الإيمان: قول الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر: ٣١].

---

(١) قال القرطبي: اتفق العلماء على أنه نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس. الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

فإذا صلى العبد أو صام، أو ذكر الله، أو فعل أي طاعة، زاد إيمانه.

وأما دليل نقص الإيمان: قول رسول الله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

قال محمد بن علي رضي الله عنه في شرحه للحديث: يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام، فإذا تاب تاب الله عليه، ويرجع إلى الإيمان(٢).

قال الآجري رحمه الله: قد روى جماعة ممن تقدموا أنهم قالوا: إذا زنى نزع منه الإيمان، فإن تاب رده الله إليه، كل ذلك دليل على أن الإيمان يزيد وينقص(٣).

مسألة: كيف نجمع بين قول الله تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف]، وبين قول رسول الله ﷺ: «أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ »؟

الجواب: لا تعارض بين الآية الكريمة والحديث وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ**»(٤).

فالحديث يدل على أن أصل دخول الجنة برحمة الله، والآية تدل على أن الأعمال سبب في دخول الجنة، والتوفيق للأعمال الصالحة والإعانة عليها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠).
(٢) انظر: الإبانة لابن بطة (١/ ٤١١).
(٣) الشريعة (ص: ٩٠).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

برحمة الله، فالأعمال سبب، وليست ثمنًا لدخول الجنة، فلو عاش الإنسان ألف عام يصلي ويصوم ويتصدق، مع ترك المعاصي، لم يكن ذلك مقابل وثمن بقائه في الجنة ساعة واحدة -فضلًا عن أن يورثها- فكيف يكون العمل ثمنًا لدخول الجنة؟!(١).

١٢- نؤمن بتفاضل أهل الإيمان.

فالمؤمنون يتفاضلون في الأعمال وفي درجات الإيمان، فمنهم من هو قوي الإيمان، وقوة الإيمان درجات، ومنهم من هو ضعيف الإيمان، وضعف الإيمان يتفاوت، فهناك تفاوت بين الناس في الإيمان والعلم والدين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧﴾ [الواقعة: ١٠-٢٧].

وقال رسول الله ﷺ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ»(٢).

١٣- نؤمن أن مراتب الدين ثلاث: إسلام، وإيمان، وإحسان.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٦) ط. ابن رجب، وتفسير السعدي (ص: ٢٨٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

كما قال رسول الله ﷺ في حديث سؤال جبريل إياه عن الدين، قال: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: قد فرق النبي ﷺ في حديث جبريل بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، ومسمى الإحسان(٢).

١٤- وأن كلًّا من الإسلام والإيمان إذا أُطلق شمل الدين كله.

أي: إذا ذكر الإسلام وحده بدون الإيمان، شمل الدين كله، ودليل أن الإسلام إذا أُطلق شمل الدين كله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ودليل أن الإيمان إذا أُطلق -أي ذكر وحده بدون الإسلام- شمل الدين كله، قول رسول الله ﷺ في حديث وفد عبد القيس: «**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِالله، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ**»(٣).

ففسر الإيمان ببعض أركان الإسلام وغيرها من أعمال الدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧)، ومسلم (٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٨)، ومسلم (١٧)، واللفظ له.

قال ابن رجب رحمه الله: وفي حديث جبريل سمى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان دينًا، وهذا أيضًا ما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل في الآخر[١].

١٥- ولا نكفر أحدًا من المسلمين بذنب فعله ما لم يستحله.

يستحل الذنب، أي: يقول: إنه حلال، فكل من ارتكب المعاصي كالزنا، وشرب الخمر، والسرقة، وغيرها لضعف إيمانه غير مستحل، ثم مات قبل أن يتوب، مات على الإسلام، وهو في المشيئة، أي: مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ثم أدخله الجنة، ولا يخلد مسلم موحد في النار، وهذا مما اتفق عليه أهل السنة.

الأدلة من القرآن والسنة على ذلك:

قال الله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال الطبري رحمه الله: فإن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام[٢].

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي**

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٧٠).
(٢) جامع البيان (٨/ ١٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤).

قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً»(١).

قال البغوي رحمه الله: اتفق أهل السنة أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر -إذا لم يعتقد إباحتها- وإذا عمل شيئًا منها فمات قبل التوبة لا يخلد في النار، كما جاء في الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته(٢).

١٦- نؤمن بأركان الإيمان الستة.

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

ولما قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟»، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ١١٧)، وانظر: شرح الإبانة (ص: ٢٦٥)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص: ٢٧٦)، والاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٢١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٧٥) وغيرها.

(٣) أخرجه مسلم (٨).

وسنذكر هذه الأركان بالتفصيل.

١٧ - اعلم أن الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء:

الإيمان بوجود الله تعالى، توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

معنى التوحيد لغة: من وحد، وهي تدل على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، ووحده توحيدًا: جعله واحدًا[١].

والمعنى: إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

١٨ - أولًا: الإيمان بوجود الله عز وجل.

من تأمل مخلوقات الله علم أن لها خالقًا، فكل ما في الكون يدل على الله الواحد الأحد، فالعقل الصريح يقر بوجود الله، والفطر السليمة التي لم تنحرف تقر بوجود الله، وقد دعا الله في كتابه العزيز عباده إلى النظر والتأمل والتفكر في مخلوقاته حتى يتبين لهم عظمة الخالق، وذلك في أكثر من موضع في القرآن، منها:

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات].

دعا الله الإنسان إلى التفكر في نفسه، فإذا تفكر في نفسه وفي مراحل خلقه علم أن له خالقًا عظيمًا، ولذا قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ «في أنفسكم أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠)، والقاموس المحيط (ص: ٢٩٣).

وحدانية خالقكم»[١].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

وقال جل ذكره: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور].

فهل يمكن لعاقل أن يقول: إنه خُلق من غير شيء؟ هذا من المحال، وهل يمكن أن يقول: إنه خلق نفسه؟ هذا أيضًا لايقول به أحد، فالإنسان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت أو يؤخر أجله ساعة، إذًا وجب عليه أن يقر أن الله تعالى هو الخالق، ولا خالق سواه، ويؤمن إيمانًا جازمًا بوجود الله جل جلاله.

١٩ - ثانيًا: توحيد الربوبية.

معنى الرب في اللغة: المالك، والسيد المطاع، والمصلح، والله جل ثناؤه مصلح أحوال خلقه[٢].

فمعنى توحيد الربوبية: الإيمان الجازم أن الله تعالى وحده هو رب كل شيء، وخالق كل شيء، ومدبر الأمر لجميع خلقه ورازقهم، مالك كل شيء، يتصرف في ملكه كيف يشاء، لا شريك له في ملكه ولا في أمره، ولا معقب لحكمه، أحكامه كلها عدل وحكمة ورحمة.

هو وحده القادر على جلب النفع للعباد، ودفع الضر والأذى والهم

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/ ٢٦٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٨٢) بتصرف يسير.

والغم والكرب عنهم.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم].

٢٠- ثالثًا: توحيد الألوهية.

ومعناه: توحيد العبادة لله تعالى، أي: إفراد الله بأعمال العبادة، أي: نعبد الله وحده، ولا نشرك به أحدًا، فهو وحده الذي يستحق العبادة، هو الذي خلقنا ورزقنا، وأوجدنا ودبر أمرنا، وأمدنا من كل ما نحتاج إليه في حياتنا، وأرسل لنا الرسل مبشرين ومنذرين لصلاح آخرتنا، ثم ختم بنبينا ﷺ الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فهل يستحق غيره -ملك، نبي، ولي، حجر، شجر، صنم- أن يُعبد مع الله؟!

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

واعلم أن هذا القسم من التوحيد هو الذي من أجله أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب، فجميع الرسل كانت دعوتهم لتوحيد الألوهية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال ابن جرير شيخ المفسرين رحمه الله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾

يقول: وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا[١].

واعلم أن المشركين كانوا يعلمون أن الله هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض، وهو الرازق، وهو الذي يحيي ويميت وغير ذلك من معاني الربوبية.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

قال الشنقيطي رحمه الله: صرح الله في هذه الآية الكريمة بأن الكفار يقرون بأنه جل وعلا هو ربهم الرزاق المدبر للأمور المتصرف في ملكه، وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جل وعلا[٢].

فالإقرارُ بوجود الله والإقرار بربوبيته مع عبادة غيره شركٌ وكفر.

٢١- صرف العبادة لغير الله شرك وكفر بالله.

أي: من جعل عبادته لغير الله فقد أشرك وكفر؛ كمن سجد لغير الله،

---

(١) جامع البيان (١٦/ ١٣٨).
(٢) أضواء البيان (٢/ ١٥٤).

أو طاف لغير الله، أو ذبح أو نذر لغير الله، أو ذهب إلى قبر ميت يسأله – وإن كان الميت من الأنبياء أو الأولياء– أن يرفع عنه البلاء، أو يشفيه من الأمراض، أو يرزقه الولد، أو غير ذلك من الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، فقد دعا مع الله إلهًا آخر، وكل ذلك من أفعال الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون].

فكل من وقع في هذه الأمور عليه أن يتوب إلى الله، وليعلم أن الذي يملك دفع البلاء، والشفاء من الأمراض، وبسط الأرزاق، وتدبير الأمور كلها هو الله وحده، وقد بينا ذلك وذكرنا الآيات الدالة عليه.

٢٢- والذهاب للسحرة لعمل السحر، أو تعلمه من أفعال الكفر.

فالاتصال بالشياطين وتعظيم الجن لتعلم السحر، أو عمل سحر بتسخير الجن الكافر –وذلك لا يكون إلا بعد الكفر بالله وإهانة المصحف– كل ذلك من أعمال الكفر.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]، دلت الآية على أن من أراد أن يتعلم السحر فلا بد أن يكفر، وذلك إن أتى بموجب الكفر فقد كفر، كتعظيم غير الله من الكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر، وهذا النوع كسحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة، وإن كان السحر لا يقتضي الكفر؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها، فهو

حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر[١].

قال رسول الله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**»[٢].

والموبقات: المهلكات.

٢٣- ويحرم إتيان الكهان وسؤالهم في أشياء وقعت أو ستقع في المستقبل.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[٣]، وفي رواية: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[٤].

فالكاهن الذي يدعي أنه يعلم الغيب والعراف كذلك[٥]، وكل ذلك من الكذب، فلا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، فمن ادَّعى أنه يعلم الغيب أو صدق أن أحدًا يعلم الغيب -غير الله- فقد كذَّب القرآن، ومن كذَّب

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٥٠)، والحاوي الكبير للماوردي (١٣/ ١٦٥)، والمغني لابن قدامة (٨/ ١٠٥)، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل (٦/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٥)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٥٣)، والخلال في السنة (١٣٩٨، ١٤٠٠)، والحاكم (١/ ٨)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والألباني كما في الإرواء (٢٠٠٦)، (٧/ ٦٦). قال الترمذي (١٣٥): وضعف محمد - أي: البخاري- هذا الحديث من قبل إسناده.

(٥) انظر: فتح المجيد (ص: ١٣٣)، وشرح مسلم (٧/ ٤٨٥).

القرآن كفر.

قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فمعنى الآية: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، إنما ذاك من علم الله جل وعلا، ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني الله عليه[1].

ويدخل تحت الكهانة: قراءة الفنجان، والاعتقاد في الأبراج (هذا برج الحمل فصفاته كذا وكذا، وهذا برج العذراء فصفاته كذا وكذا ... إلى آخره)، وقراءة حظك اليوم، والطاقة الكونية وهي من المفاهيم الفلسفية وأصحابها يدعون أنها طاقة عظيمة خلقها الله تعالى في الكون وجعل لها تأثيرًا عظيمًا على حياة الإنسان وصحته وروحه وعواطفه، وهذه الطاقة تنقسم إلى: طاقة إيجابية وطاقة سلبية، وكل ذلك من عقائد أديان الشرق، وبخاصة الصين والهند، وهي ما يروج لها حكماؤهم الروحانيون، فلنحذر من كل هذه الخرافات والبدع التي انتشرت في بلاد المسلمين.

وبالجملة كل من يخبر عن الغيب فهو داخل تحت الكهانة والعرافة وكل ذلك حرام وشرك.

٢٤- ويحرم تعليق التمائم لدفع عين الحاسد، أو دفع أنواع البلاء.

التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢).

يتقون بها العين في زعمهم[١]، ومنها الخرز الأزرق الذي يوضع داخل عين أو داخل كف مصنوع من فضة أو ما أشبه ذلك مما انتشر بين المسلمين اعتقادًا أن الخرز الأزرق ينجي من الحسد؛ لأن الحاسد يتجه بنظره إلى الخرزة فيندفع عنه شر عين الحاسد بزعمهم، وهذا كله فساد في الاعتقاد، ومن أمور الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ونهى عنها.

فالذي يصرف البلاء -كما قررنا في المسألة السابقة- هو الله، والذي يعافيك ويبتليك هو الله، لا إله غيره، ولا رب سواه.

٢٥- ويحرم التشاؤم، سواء كان التشاؤم بمكان، أو زمان، أو مرئيٍّ، أو مسموع.

فالتشاؤم بالمكان: كمثل الذي يذهب إلى مكان ما، وفي كل مرة يذهب إليه يحدث له مكروه، فيتشاؤم من هذا المكان ويعزم على عدم الذهاب إليه.

وهذا من الشرك؛ لأنه اعتقد أن المكان يضره، والذي يملك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له، لا مكان ولا غيره.

وأما التشاؤم بالزمان: كمن ابتلي بشيء ما في يوم معين من أيام الأسبوع أو شهر معين أو ساعة معينة، فيكره هذا اليوم أو هذا الشهر، أو هذه الساعة، وكل ما جاء اليوم أو الشهر أو الساعة التي يتشاءم منها، يجد نفسه في ضيق وحزن وفي حالة ينتظر فيها وقوع ما يكره.

وأما التشاؤم بمرئي: مثال ذلك: رجل أراد أن يشتري سيارة وهو في

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ١١٢).

طريقه إلى معرض السيارات رأى سيارة مثلها تحترق، فيتشاءم منها ويُعرض عن شراء هذا النوع من السيارات.

وأما التشاؤم بمسموع: كمثل رجل أراد أن يتقدم لخطبة امرأة، وهو في طريقه إلى منزلها سمع خبر موت إنسان عزيز عليه، فيتشاءم من المرأة ويُعرض عن خطبتها.

وهذا كله حرام ولا يجوز.

تنبيه:

ويستثنى من الشؤم ثلاث: المرأة، والدار، والدابة؛ لقول رسول الله ﷺ: «**وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي المَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ**»(١).

الدابة: كالفرس أو السيارة، وما أشبه ذلك.

قال الإمام مالك رحمه الله في شرح الحديث: هو على ظاهره، وإن الدار قد جعل الله تعالى سكناها سببًا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس، أو الخادم، قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى.

ومعناه: قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة.

ومن العلماء من قال: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة: سلاطة لسانها، وشؤم الفرس أو الدابة: غلاء ثمنها، وشؤم الخادم: سوء خلقه، وعدم أداء عمله وما أشبه ذلك، وقول الإمام مالك هو ما يوافق ظاهر الحديث، والله أعلم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٢) انظر: مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٨١)، ومعالم السنن للخطابي (٤/ ٢١٨)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٧/ ٥٠٧).

٢٦- واعلم أن الشرك، والكفر، والنفاق، والفسق، والظلم قسمان.

كل هذه الألفاظ جاءت في القرآن والأحاديث الصحيحة، وكل منها ينقسم إلى قسمين: قسم يخرج من الإسلام، وقسم لا يخرج من الإسلام.

٢٧- الشرك، وينقسم إلى شرك أكبر، وشرك أصغر.

الشرك الأكبر: كمن قال أو اعتقد أن مع الله إلهًا أخر، أو أن الله له ولد، أو اتخذ صاحبة، أو جعل لله ندًّا -والند النظير والشبيه[1]- يخافه كخوفه من الله، ويطيعه كطاعته لله، ويحبه كحبه لله، كل ذلك خروج من الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

وقال رسول الله ﷺ: «**حَقّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[2].

الشرك الأصغر: عرفه رسول الله ﷺ بأنه الرياء، والرياء مشتق من الرؤية، والمرائي يحسن عمله أمام الناس، يريد بذلك المدح والثناء عليه من الناس، وأن تكون له منزلة في قلوب العباد، وهذا النوع من الشرك من جنس المعاصي التي لا تعد كفرًا.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»(١).

ومن الشرك الأصغر الحلف بغير الله؛ كقول: والنبي، أو ورحمة أبي، أو والكعبة، أو بالأمانة، إلى غير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا، إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»(٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٤).

وقال ﷺ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»(٥).

لأن العبد إذا قال: ما شاء الله وشئت، ساوى بين مشيئة الله تعالى ومشيئته، وهذا حرام لا يجوز، فمشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب، لا تكون إلا بعد أن يشاء الله، ولذلك قال رسول الله ﷺ في الحديث: «**وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»؛ لأن «**ثُمَّ**» تفيد الترتيب، أي: أن مشيئة الله أولًا، ثم مشيئة العبد.

٢٨- الكفر ينقسم إلى: كفر أكبر، وكفر أصغر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٩)، والبيهقي في الشعب (٦٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (٣-١٦٤٦).

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥٣)، وأحمد (٢٣٠٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٣)، والصحيحة (٩٤).

(٤) رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (١/ ٤٧، ٢/ ٣٤)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١)، وانظر العلل لابن أبي حاتم.

(٥) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤) وغيرهما.

الكفر الأكبر: وهو الذي يخرج صاحبه من الإسلام، وهو أنواع: كفر التكذيب، وكفر الجحود، وكفر العناد والاستكبار، وكفر الشك، وكفر السب والاستهزاء، ونذكر هاهنا بيان هذه الأنواع بالأدلة من القرآن والسنة.

كفر التكذيب: وهو من كذب في الظاهر والباطن، أو في الظاهر، ككفار قريش وأمثالهم من الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠﴾ [غافر]، وغيرها من الآيات.

كفر الجحود: وهو أن يعرف الحق يقينًا بقلبه ثم ينكره ويمتنع عن الانقياد لأوامر الله؛ ككفر فرعون وقومه، وكفر اليهود برسالة النبي ﷺ، مع يقين فرعون بصدق موسى عليه السلام ، ويقين اليهود بصدق نبينا ﷺ.

قال تعالى في كفر فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤].

فجحدهم بآيات الله ليس عن شك، وإنما جحدوا بما جاء به موسى عليه السلام مع علمهم ويقينهم بصدق ما جاء به.

وقال تعالى في اليهود: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال الله لنبينا ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام]، يعني: كفار قريش.

كفر العناد والاستكبار: بأن يعرف الحق بقلبه ومع ذلك يتكبر على أوامر الله، ويعتقد أنه يسعه الخروج عنها، وهذا ككفر إبليس كان يقر بوجود الله وأنه الخالق، وهذه المعرفة لم تنفعه.

قال تعالى في شأن إبليس: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

[البقرة]، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف].

كفر الشك: قال تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

فاحذر الشك في أي شيء جاء في القرآن أو سنة رسول الله ﷺ.

كفر الإعراض: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [الأحقاف].

فالإعراض عن ما أنزل الله في الكتاب، والإعراض عن معرفة الدين، واللهو واللعب وترك العبادة كل ذلك مقدمات قد تؤدي بالعبد إلى الشك في الدين والوقوع في الكفر.

كفر السبِّ والاستهزاء: قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة].

قال العلامة السعدي رحمه الله: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة[1].

الكفر الأصغر: لا يخرج صاحبه من الإسلام؛ كالسب واللعن، والنياحة على الميت، وغير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٤٢-٣٤٣)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٥٧).

وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[١].

وقال ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٢].

قال ابن القيم: إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي[٣].

فالقتل لا يخرج صاحبه من الملة -ما لم يستحل القتل- ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فبيَّن الله تعالى في الآية أنهم إخوة وسمَّاهم مؤمنين، مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض، وأمر بالإصلاح بينهم، ولم يخرجهم الله تعالى من الإسلام.

٢٩- واعلم أن النفاق ينقسم إلى قسمين: نفاق عقدي، ونفاق عملي[٤].

أما النفاق العقدي: هو اعتقاد الكفر بقلبه، فصاحبه يكره الدين والمسلمين، ويسعى في تشكيك المسلمين في دينهم، وإلقاء الشبهات عليهم، وهو أمام الناس مسلم، فهو يظهر الإيمان باللسان، ويكتم الكفر في قلبه[٥]، فصاحبه كافر.

قال الله جل جلاله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤).

(٣) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم (ص: ٤٦).

(٤) انظر: فتح الباري (١/ ١١١).

(٥) انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٢٣٦).

[المنافقون].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

«أي: كما أشركوهم في الكفر، كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا»(١).

وأما النفاق العملي: صاحبه مسلم ناقص الإيمان، ولا يكون صاحبه كافرًا، ومنه الكذب، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، وغير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٣).

فقد يجتمع في المسلم إيمان ونفاق، ولا يكفر بذلك(٤)، إذا كان نفاقًا من النوع الثاني، أي: النفاق العملي.

٣٠- والفسق قسمان: فسق يخرج من الملة، والآخر دون ذلك.

معنى الفسق: «العصيان والترك لأمر الله عز وجل، والخروج عن

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٠) ط. ابن رجب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥١٩).

طريق الحق»[١].

أما الفسق الذي يخرج صاحبه من الإسلام: كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

فالفسق الذي جاء في الآيتين كفر؛ لأن إبليس كافر، وكذلك قوم فرعون كانوا كفارًا.

وأما الفسق الذي دون الكفر: أي أن صاحبه مسلم وإن اتصف بالفسق لارتكابه المعاصي دون الكفر.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالفسق في الآية بمعنى المعصية لا الكفر[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ**»[٣].

ومن المعلوم أن سب المسلم ليس كفرًا.

٣١- واعلم أن الظلم قسمان: ظلم يخرج من الملة، وظلم دون ذلك.

فالأول: قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة].

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٣٠٨).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٣٦٩).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان][1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث: ووجه الدلالة منه أن الصحابة فهموا من قوله: ﴿ بِظُلۡمٍ ﴾ عموم أنواع المعاصي، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ذلك، وإنما بيَّن لهم أن المراد أعظم أنواع الظلم، وهو الشرك ... فدل على أن الظلم مراتب متفاوتة ... وأن المعاصي غير الشرك لا يُنسب صاحبها إلى الكفر[2].

وأما الظلم الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام: هو ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي -كبيرة كانت أو صغيرة- قال تعالى عن نبيه يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

وقال آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[3].

٣٢- رابعًا: توحيد الأسماء والصفات.

سبق بيان أن الإيمان بالله تعالى يتضمن أربعة أشياء: الإيمان بوجود

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١/ ١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

الله، وتوحيد الربوبية، أي: أنه رب واحد، وتوحيد الألوهية، أي: عبادة الله وحده، وقد بينا ذلك كله، ونفصل هاهنا معنى توحيد الأسماء والصفات.

٣٣- نؤمن أن الله عز وجل سمى نفسه بأحسن الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأشرف الصفات.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠][١].

٣٤- نؤمن أن كل اسم من أسماء الله يدل على صفة من صفاته، ومنها ما يدل على عدة صفات، وصفات الله كلها كمال ليس فيها نقص بأي وجه.

مثال: اسم الله «الرحيم» يدل على صفة الرحمة، ومعناها الذي يليق بجلال الله وعظمته، اسم الله «الكريم» يدل على صفة الكرم، اسم الله «العليم» يدل على صفة العلم، وهكذا في جميع الأسماء الحسنى.

ومن الأسماء ما يدل على عدة صفات؛ كاسم الله «المجيد»، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال[٢].

٣٥- نؤمن بأن أسماء الله توقيفية، لا تُعرف إلا من القرآن أو الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

معنى توقيفية: أن نقف ونقتصر فيها على ما جاء في القرآن والسنة[١]،

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٣/ ٦٧١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٣١٠)، وشرح النونية (٢/ ٢٥١).

(٢) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ٣٧١)، (١/ ٢٣)، وبدائع الفوائد (١/ ١٤٤)، وتفسير السعدي (ص: ٣٠٩).

فلا يجوز لأحد أن يسمي الله تبارك وتعالى بغير ما سمى به نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

٣٦- وأن أسماء الله تعالى كثيرة وغير محصورة بعدد.

ويدل على ذلك أن رسول الله ﷺ كان يقول في بعض أدعيته: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٢).

فالنبي ﷺ يخبر أنه لا يحصي ثناء على الله -والثناء على الله يكون بأسمائه وصفاته- فعلم أن أسماءه كثيرة لا أحد يحصيها أو يعرف عددها إلا الله تعالى.

أما حديث رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٣)، فمعناه: أن من أحصى من أسماء الله تسعة وتسعين اسمًا دخل الجنة، وهذا ما عليه جماهير علماء أهل السنة(٤).

معنى أحصاها: أي: حفظها وعمل بمعانيها، فإذا قال الله «الرزَّاق» وثق أن لا أحد يرزقه إلا الله(٥)، وإذا قال الله «الغفور» علم أن لا أحد يغفر

=

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (٧/ ١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (ص: ٨٢-٨٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٨١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣٢-٣٣٣) وغيرها.

(٥) انظر: شرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٧/ ١٦١-١٦٢)، وعمدة القاري للعيني

الذنوب إلا الله، فيسارع إلى التوبة والاستغفار، وهكذا في سائر الأسماء الحسنى.

٣٧- اعلم أن دعاء الله تعالى لا يكون إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

فتسأل الله بالاسم الذي يناسب حاجتك، فإذا كنت في حاجة إلى المال أو الولد، فاسأل الله باسمه الرزاق أن يرزقك المال والولد، وإذا كنت عاصيًا تعجز عن التوبة، فاسأل الله باسمه التوَّاب أن يتوب عليك، وهكذا في كل ما تحتاج إليه، فليس لنا إلا الله عز وجل.

٣٨- نؤمن بتوحيد صفات الله عز وجل.

أي: اعتقاد انفراد الله تعالى بصفات الكمال المطلق من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، أي: الكمال المطلق من كل وجه[1]، والإيمان بتوحيد الصفات يقتضي أمورًا:

٣٩- نثبت صفات الله كما أثبتها لنفسه في القرآن وأثبتها له نبيه ﷺ في الأحاديث الصحيحة، من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل[2].

=

(٩/ ٦٥٦)، وفتح الباري (١١/ ٢٢٩).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٣).

(٢) انظر: اعتقاد السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص: ١٧-١٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٦)، (٦/ ٥١٥)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ١٠٧)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (ص: ٦٧)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٧٥).

معنى التعطيل: سلب الصفات ونفيها عن الله تعالى[١]، أي: إنكار الصفة.

مثال ذلك: أهل البدع يطلقون على الله تعالى اسم: السميع، البصير، الحي، الرحيم، وغيرها من أسماء الله، ويقولون: لا سمع له، ولا بصر له، ولا كلام، ولا حياة، فنفوا عن الله الصفات، ويصفونه بالعدم -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، فالإنسان الضعيف لو أن أحًدا قال له: أنت لا تسمع ولا تتكلم، ولا تعلم إلى غير ذلك، لغضب غضبًا شديدًا لكونك نفيت عنه صفاته، ووصفته بالعجز والنقص، فكيف يتجرأ هؤلاء المبتدعة على نفي صفات الله جل جلاله وتقدست أسماؤه؟

معنى التحريف: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات، أو تغيير معانيها، كقول أهل التحريف في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، يقولون: استوى، أي: استولى، ومعلوم أن الاستواء معناه: العلو والارتفاع[٢]، والآية تدل على الارتفاع والعلو على العرش على وجه يليق بجلال الله وعظمته، فنؤمن أن الله تعالى فوق كل شيء، وأعلى من كل شيء، ولا يحدُّه شيء من مخلوقاته، وهو مستوٍ على عرشه.

معنى التكييف: أن تتخيل لصفات الله كيفية معينة، وتصور صفاته بطريقة معينة.

وهذا حرام، فلا أحد يعلم كيفية صفات الله إلا هو تبارك وتعالى مع

---

(١) انظر: التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية للسعدي (ص: ١٧-١٨)، علق عليها ابن باز رحمه الله.

(٢) انظر: القصيدة النونية لابن القيم (٢/ ٢٠٠) بشرح جمع من العلماء.

إيماننا بحقيقة معناها[١].

مثال: نثبت صفة السمع لله تعالى، فهو السميع كما قال عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى]، ونثبت معناها، أي معنى السمع، وهو إدراك الأصوات، ولا تكييف، أي: لا نتخيل أنه يسمع بطريقة معينة تتخيلها عقولنا، فالإنسان يسمع بأذنين، ولا نعلم كيف يسمع الله تعالى، فكيفية صفاته لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

معنى التمثيل: التشبيه، فلا يقال ذات الله مثل ذواتنا، أو شبه ذواتنا، فلا يقال في صفاته إنها مثل صفاتنا أو شبه صفاتنا[٢]، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١].

مثال للتوضيح: العصفور له وجه، والأسد له وجه، والاختلاف والتفاضل بينهما كبير، والنملة لها رجل والإنسان له رجل، والاختلاف والتفاضل بينهما كبير، فإذا كان هذا التفاوت بين المخلوقات جائز، فصفات الله عز وجل أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

قال نعيم بن حماد شيخ الإمام البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا[٣].

---

(١) انظر: التنبيهات اللطيفة (ص: ١٧-١٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٢٢٢).

مثال آخر: يسهل عليك إثبات صفات الله بغير تشبيه لصفات المخلوق، ولا تكييف.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ [سبأ: ١٠]، أوبي، أي: رجِّعي التسبيح مع داود.

فالجبال التي هي من حجارة صماء تسبح، ولا أحد يعرف كيف تسبح، فالجبل ليس له فمٌ ولا لسانٌ ولا شفتان.

فإذا كان العقل يعجز عن معرفة كيفية تسبيح الجبال، فهل يمكن أن يعلم كيفية صفات الله تعالى؟!

٤٠- نؤمن أن الله جل وعلا لم يزل ولا يزال متصفًا بصفات الكمال.

فصفات الله تعالى أزلية أبدية لا يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء[١]، قال جل ذكره: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحديد: ٣].

وكان النبي ﷺ يدعو عند النوم، فيقول: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»[٢].

فلا يجوز أن نعتقد أن الله وصف نفسه بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها.

لأن عدم اتصاف الله بصفة من صفاته في وقت من الأوقات يدل على النقص في هذا الوقت، فلا يجوز أن نعتقد أن الله حصل له الكمال في صفاته بعد أن كان متصفًا بضدها وهو النقص.

مثال: الإنسان حين يولد لا يعلم كيف يتكلم -وهذا نقص- ثم

---

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص: ٢٨٠)، وبدائع الفوائد (١/ ١٦٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٧٥-٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

يتعلم الكلام -وهذا كمال-، فالذي يتكلم أكمل من الذي لا يتكلم.

فصفة الكلام حادثة للإنسان، كانت بعد أن لم تكن، وكذلك صفة المشي والفهم وسائر صفات الإنسان حادثة، حصلت له بعد أن كان غير متصف بها.

بل كان متصفًا بالعجز والنقص وهو طفل، وهذا حق في حق البشر، أما الله تبارك وتعالى فصفاته ليست حادثة، بل لم يزل متصفًا بصفات الكمال والجمال.

٤١- نفي الصفات التي نفاها الله تعالى عن نفسه، ونفاها عنه نبيه ﷺ في الأحاديث الصحيحة، مع إثبات كمال ضدها[1].

الله تعالى نفى وجود إله غيره، ثم أثبت الكمال لنفسه بتفرده بالألوهية، قال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ونفى عن نفسه اتخاذ الولد والشريك والولي لكمال غناه عنهم وعن الخلق أجمعين.

قال جل ذكره: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء].

ونفى عن نفسه الظلم لكمال عدله، قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف].

وجمع بين نفي الظلم عن نفسه وإثبات كمال العدل والكرم له في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء].

---

(١) انظر: العقيدة التدمرية (ص: ٥٧-٥٩)، والصواعق المرسلة (١/ ١٥٢) وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ١١٤).

إلى غير ذلك من صفات النقص التي نفاها عن نفسه، وأثبت كمال ضدها.

٤٢- ذكر جملة من صفات الله تعالى التي جاءت في القرآن والسنة، بغير تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تكييف.

وصفات الله تبارك وتعالى كأسمائه توقيفية، أي: لا نثبت منها إلا ما جاء في القرآن أو الأحاديث الصحيحة، ومن هذه الصفات التي أثبتها الله جل ذكره لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ.

السمع والبصر: قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

وقال رسول الله ﷺ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: وهو سميع بصير، له السمع والبصر، يسمع ويبصر، وليس كمثله شيء في سمعه وبصره(٢).

٤٣- واعلم أن الله تعالى ينظر لعباده.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء].

وفي حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان، فقال ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٢٠).
(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

٤٤- واعلم أن الله تعالى يعرض عما يكره، ولا ينظر إليه.

قال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [آل عمران].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ** - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: **وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[1].

٤٥- إثبات صفة العلم لله تعالى.

الله تعالى يعلم ما كان، أي: الماضي، وما هو كائن، أي: الحاضر، وما سيكون، أي: المستقبل، وما لم يكن، أي: الشيء الذي لم يخلق، لو كان كيف يكون، أي: لو خلقه كيف يكون خلقه ووصفه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النساء]، وقال: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه].

ومعنى قول الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾، أي: «الكلام الخفي ﴿وَأَخۡفَى ٧﴾ من السر الذي في القلب ولم ينطق به، أو السر: ما خطر على القلب، أو ما لم يخطر على القلب...، والمعنى: أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، دقيقها، وجليلها، خفيها، وظاهرها، فسواء جهرت بقولك أو

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٧).

أسررته، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تعالى»[١].

وقال رسول الله ﷺ في دعاء الاستخارة: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ**»[٢].

٤٦- إثبات صفة الرحمة لله جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»[٣].

٤٧- إثبات العلو لله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى]، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: فالخبر يُصرح أن عرش ربنا جل وعلا فوق جنته، وقد أعلمنا -جل وعلا- أنه مستو على عرشه، فخالقنا عال فوق عرشه الذي هو فوق جنته[٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب -إن نقله عن غيره- وضالٌّ -إن

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٠٢) بتصرف يسير.
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٣٨٢) وغيره.
(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧١).
(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص: ٩١).

اعتقده في ربه- وما سمعنا أحدًا يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحدًا نقله عن واحد.

ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله: «**إِنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ**» أن السماء تحويه؟ لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا[١].

الله جل جلاله هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء[٢].

والقرآن مليء بالآيات الدالات على ذلك، ومنها الآيات التي ذكرناها، وكذلك السنة جاء فيها أحاديث كثيرة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ تدل على أن الله جل جلاله هو العلي الأعلى وأنه فوق سمواته.

قوله ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[٣].

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة الدالة على علو الله تبارك وتعالى، وليس كما يزعم أهل البدع أن الله في كل مكان -تعالى ربنا عما يقول هؤلاء المبتدعة علوًّا كبيرًا- فيلزم من قولهم: (إن الله في كل مكان) أنه سبحانه في الأرض وفي الشجر وفي الحمام إلى غير ذلك من الأماكن، ولا يخفى ما في هذه العقيدة من الفساد الذي ينافي الفطرة السليمة، فالطفل إذا أراد أن يدعو الله تعالى نظر إلى السماء، والمرأة التي تعيش في البادية ترعى الغنم، لا

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٦).
(٢) انظر: الرسالة الحموية لابن تيمية (ص: ١٥).
(٣) أخرجه مسلم (٥٣٥٧) وغيره.

تقرأ ولا تكتب، إذا سألتها أين الله؟ لقالت: في السماء، أي: فوق السماء، كما قالت الجارية لرسول الله ﷺ في الحديث المتقدم.

الرد على من احتج- أن الله في كل مكان- بقول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله في معرض مناظرته لأهل البدع والرد على من قال الله في كل مكان محتجًّا بهذه الآية: قلنا: هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه.

لأن علمه بهم محيط، بصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش، بائن من خلقه، يعلم السر وأخفى، أقرب إلى أحد -من فوق العرش- من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك؛ لأنه لا يبعد عنه شيء، لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء[1].

فالآية تدل على إثبات صفة المعية، أن الله معنا بعلمه، وهو مستو على عرشه فوق سبع سماوات.

مثال للتوضيح والجمع بين المعية والعلو:

---

(١) الرد على الجهمية (ص: ٤٨-٤٩).

«ما يقوله العرب: القمر معنا ونحن نسير، والشمس معنا ونحن نسير، والقطب معنا ونحن نسير، مع أن القمر والشمس والقطب كلها في السماء، فإذا أمكن اجتماع العلو والمعية في المخلوق، فاجتماعهما في الخالق من باب أولى ....».

وحديث رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»[1].

فجمع بين كونه -سبحانه- صاحبًا له وخليفة له في أهله، مع أنه بالنسبة للمخلوقين غير ممكن، لا يمكن أن يكون شخص ما صاحبًا لك في السفر وخليفة لك في أهلك ...

إذن؛ يمكن أن يكون الله معنا حقًّا وهو على عرشه في السماء حقًّا، ولا يفهم أحد أنهما يتعارضان، إلا من أراد أن يمثل الله بخلقه، ويجعل معية الخالق كمعية المخلوق[2].

٤٨- نؤمن بأن ربنا تبارك وتعالى مستوٍ على عرشه فوق سماواته.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

قال ابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى كيف شاء .... وذكر الآية[3].

وعن مالك رحمه الله: أن رجلًا جاء إليه، فقال له: يا أبا عبد الله:

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٦٢-٣٦٣) باختصار.

(٣) أصول السنة (ص: ٨٨).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، كيف استوى؟ فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًّا، وأُمر به فأُخرج[1].

معنى كلام الإمام مالك: «الكيف غير معقول» أي: لا يعلم أحد ولا يصل بعقله إلى كيفية استواء الله تعالى على عرشه، وقوله: «والاستواء منه غير مجهول» أي: أن معنى الاستواء غير مجهول؛ لأن معناه: العلو والارتفاع، فالله تعالى مستو على عرشه فوق سماواته، «والإيمان به واجب»، أي: يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله وعظمته بغير تكييف، «والسؤال عنه بدعة»، أي: السؤال عن كيفية استواء الله تعالى؛ لأن كيفية صفات الله لا يعلمها إلا هو كما بينا.

فائدة:

خلق الله تبارك وتعالى العرش لحكمة لا يعلمها إلا هو، ولم نكلف بمعرفة الحكمة من ذلك، ولكن ما كلفنا به هو الإيمان بأن الله خالق كل شيء، وهو مستغن عن مخلوقاته، فالعرش وحملته والسماوات والأرض وكل ما في الكون مفتقر إليه، محتاج إليه، فكان الله ولم يكن شيء غيره، ثم خلق المخلوقات وهو مستغن عنهم، ولكن خلقهم لحكمة.

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٥٦١)، وفي الاعتقاد (ص: ١١٩)، وقال الذهبي في العلو (ص: ١٠٣): وهذا ثابت عن مالك. وقال ابن حجر في الفتح (١٣ / ٤٠٦-٤٠٧): إسناده جيد.

٤٩- نؤمن بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا.

فالكلام صفة من صفات الله عز وجل، يتكلم متى شاء وكيف شاء، وبما شاء.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وكان رسول الله ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»(١).

وغير ذلك من الأدلة، وهي كثيرة جدًّا.

فالله جل جلاله يتكلم بصوت، ولا نعرف كيف يتكلم، فقد سبق بيان أن الجبل الأصم يسبح ولا نعرف كيف يسبح، قال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، أمر الله الجبال تُرجِّع التسبيح مع داود عليه السلام ولا نعرف كيف تسبح، وكل المخلوقات تسبح ولكن لا نعلم كيف تسبح، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فالأولى أن لا نعرف كيف يتكلم الله، ولا نشبه

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٣١٩١) وغيره.

صفات الله بصفات خلقه، فالله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لا في كلامه، ولا في صوته، ولا في أفعاله، ولا في أي صفة من صفاته.

دليل أن الله تعالى يتكلم بصوت:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، أي: دعاه بصوت مرتفع؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوتٍ عالٍ، وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، فالنداء يكون للبعيد، ويلزم أن يكون بصوتٍ عالٍ، وأما المناجاة فهي للقريب(١).

وقوله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ**»(٢).

قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون: لما كلَّم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت، فقال أبي: بلى، إن ربك عز وجل يتكلم بصوت(٣).

قال الإمام البخاري رحمه الله: إن الله يتكلم بصوتٍ، لا يشبه صوت الخلق(٤).

٥٠- نؤمن بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن عثيمين للآيات (ص: ٣٨- ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) السنة لعبد الله (١/ ٢٨٠-٢٨١).

(٤) خلق أفعال العباد (ص: ١٣٧).

أي: سأل جوارك، أي: أمانك وذمامك، فأعطه إياه ليسمع القرآن[١].

فدلت الآية على أن القرآن كلام الله تعالى.

قال الإمام ابن بطة رحمه الله في معرض رده على أهل البدع: فزعموا أن القرآن مخلوق، والقرآن من علم الله تعالى، وفيه صفاته العليا وأسماؤه الحسنى، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله كان ولا علم، ومن زعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة فقد زعم أن الله مخلوق محدث، وأنه لم يكن ثم كان، تعالى الله عما تقولُه الجهمية الملحدة علوًّا كبيرًا.

وكل ما تقولُه وتنتحلُه فقد أكذبهم الله عز وجل في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ وفي أقوال الصحابة وإجماع المسلمين ... لأن الله عز وجل لم يزل عالمًا سميعًا بصيرًا متكلمًا تامًّا بصفاته العليا وأسمائه الحسنى قبل كون الكون وقبل خلق الأشياء، لا يدفع ذلك ولا ينكره إلا الضال الجحود الجهمي المكذب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ... ثم استدل بأربع وخمسين آية من القرآن وجملة من أحاديث رسول الله ﷺ على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[٢].

قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: سمعت أبي رحمه الله يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر؛ لأن القرآن من علم الله عز وجل، وفيه أسماء الله عز وجل[٣]، وصفاته.

٥١- ونؤمن بأن صفة النزول صفة لله تعالى من صفات الأفعال.

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٧٥).

(٢) الإبانة (٣/ ٢٢٦).

(٣) السنة (ص: ٢٦).

وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة نزولًا يليق بجلاله وكماله؛ لأن الخبر صح عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ونؤمن بذلك ولا نكيف.

قال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث: قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك، وتلقيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول فقوله حق وصدق، وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني؛ كما قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني ... وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتَأْثُره و تبلِّغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة[2].

٥٢- ونؤمن بصفة الإتيان.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

هذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية -أي التي إن شاء الله فعلها وإن شاء لم يفعلها، ولذلك أطلق عليها العلماء (الصفات الاختيارية)- كالاستواء، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨)، وغيرهما.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢).

عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ على وجه يليق بجماله وكماله، من غير تشبيه، ولا تحريف، ولا تعطيل[١].

٥٣- ونؤمن بصفة المجيء.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

قال ابن القيم رحمه الله في معرض رده على من قال: إن إتيان الله تعالى ومجيئه سبحانه مجاز تقديره: وجاء أمر ربك: هذا باطل من وجوه ..... أن في السياق ما يبطل هذا التقدير، وهو قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، فعطفُ مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك[٢].

٥٤- نؤمن ونثبت أن لله عينين:

مع اليقين الذي لا شك فيه أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

قال جل ذكره: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

بعض العلماء حمل «العين» في الآيات على الرؤية، أي: بمرأى منِّي، ومنهم من فسَّر قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] أن الله تعالى يرعى السفينة ويكلؤها، وهذا حق، ولكن إذا كان الله يرعى السفينة لزم من

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٥٨).

ذلك أن يراها، ولزم من رؤية الله للسفينة أن تكون له عين[١].

مثال: إذا قال لك شخص: أكرم هؤلاء الناس، فقلت له: على رأسي، فهل معنى ذلك أنك ستضع الناس فوق رأسك؟ لا، وإنما أردت أن تبين له إكرامك لهم، ولكن اللفظ وهو (على رأسي) يدل على أن لك رأسًا، ولذلك لم تقل له: على جناحي؛ لأنك ليس لك جناح... فتأمل.

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»[٢].

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: إثبات العين لله -جل وعلا- على ما أثبته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله[٣]، وعلى لسان نبيه ﷺ ... وذكر الآيات والحديث كما تقدم، ثم قال: فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبَّته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبينًا عنه عز وجل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبين النبي ﷺ أن لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل.[٤].

٥٥- إثبات اليدين لله تبارك وتعالى.

قال الله عز وجل لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾

---

(١) انظر: التوحيد لابن خزيمة (ص: ٤٥-٤٦)، وشرح أصول الاعتقاد (٣/ ٦٥، ٦٦، ٧٧)، وشرح القواعد المثلى لابن عثيمين (ص: ٣١٦-٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٣) محكم التنزيل، أي: القرآن.

(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص: ٤٥).

[ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ...**»(٢).

قال أبو بكر الآجري رحمه الله: يقال للجهمي -الذي يُنكر أن الله عز وجل خلق آدم بيده-: كفرت بالقرآن، ورددت السنة، وخالفت الأمة... وذكر الأدلة التي تدل على إثبات اليد لله تعالى من الكتاب والسنة كما تقدم(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد.

ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية(٤).

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، لا يستطيع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).
(٣) الشريعة (ص: ٢٦٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٥).

أحد أن يعلم حجم وسعة السموات مهما تخيل عقله، ومع حجمها الكبير العظيم يطويها الله تعالى -يوم القيامة- بيمينه، فدل ذلك دلالة واضحة على أن يد الله لا تشبه يد المخلوق -بأي وجه-، فالإنسان لا يستطيع أن يطوي بيده أكثر من عدة ورقات، فانتبه.

٥٦- وأن الله جل جلاله له وجه يليق بجلاله وعظمته.

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]، وقال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل].

ولما زار النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص في مرضه، قاله له: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي، فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً..**»(١).

وفي حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فحبستهم في الغار، قال كل واحد منهم: «**اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ...**»(٢).

قال الأصبهاني: قال محمد بن إسحاق رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن] دلالة أن وجه الله صفة من صفات الذات لا أن وجه الله هو الله، ولا أن وجهه غيره؛ لأن وجه الله لو كان الله لقُرئ: ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام(٣).

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: والوجه صفة من صفات الله تعالى،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٢).

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (ص: ٨٥).

وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق(١).

٥٧- نؤمن بأن الله تعالى له أصابع.

ولا نشبه أصابع الرحمن بأصابع الإنسان -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ..**»(٢).

وقال عبد الله: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١](٣).

تأمل هذا الحديث حتى ينصرف عن عقلك أدنى تشبيه بين صفات الله بصفات المخلوق.

فالإنسان لا يستطيع أن يحمل بأصبعه أكثر من نصف كيلو جرام، أما الله تعالى فيمسك السموات السبع -مع عظم طولها وعرضها وارتفاعها- بأصبع واحد من أصابعه عز وجل.

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٥٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦) وغيرهما.

قال الإمام ابن الملقن رحمه الله: وأما حديث الإصبع فإنه إذا لم يصح أن يكون جارحة، لما قدمنا من إبطال التجسيم، فتأويله ما قاله أبو الحسن الأشعري: إن هذا وشبهه ما أثبته الرسول ﷺ لله تعالى ووصفه به راجع إلى أنه صفة ذات لا يجوز تحديدها ولا تكييفها[1].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله في معرض شرحه لحديث الإصبع: لا يجوز أن تكون الإصبع هاهنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ولم يجز ذلك، ولا نقول: إصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضاتنا؛ لأن كل شيء منه -جل وعز- لا يشبه شيئًا منا[2]. انتهى.

٥٨- ونؤمن بسائر الصفات الثابتة لله تعالى في القرآن والسنة.

كصفة: القوة، والقدرة، والقدم، والإرادة، والمشيئة، والمحبة، والرضا، والغضب، والسخط، والفرح، والضحك، وغيرها، بغير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تحريف، مع اليقين الذي لا شك فيه أن جميع صفات الله لها كيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى؛ كما سبق بيانه.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٢٧٠).
(٢) تأويل مختلف الحديث (ص: ٥٧٦).

الإيمان بالملائكة

٥٩- الإيمان بالملائكة، وهو ركن من أركان الإيمان.

يجب على كل مسلم الإيمان به، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

٦٠- وأن الملائكة خلق عظيم، خلقهم الله من نور، ولهم أجسام.

وخلق لهم أجنحة، منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة، ومنهم من له ستمائة جناح، ونؤمن أن لهم أجسامًا ولا نعلم كيفيتها ولا كيفية الأجنحة، فلم يرد ذلك في القرآن أو السنة.

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر].

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

٦١- نؤمن بأنهم عباد الله المكرمون، خلقهم الله لطاعته وعبادته.

لا يعصون الله أبدًا، ولا يستكبرون عن عبادته، ولا يملون من العبادة ولا يفترون، خلقهم الله من نور، فهم ليسوا إناثًا ولا بنات الله -تعالى الله عن ذلك- بل هم عباد من عباد الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال الله تعالى في شأن الكافرين: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف].

٦٢- ومن صفات الملائكة أنهم لا يأكلون ولا يشربون، ويتمثلون في صورة بشر.

فقد أعطاهم الله جل ذكره القدرة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ [هود].

قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ من الملائكة، قال السُّدي: بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه[1].

(١) جامع البيان (٨/ ٩٤).

وقد دلت الآية على أنهم لا يأكلون؛ لأن إبراهيم عليه السلام لما قدم لهم العجل الحنيذ، أي المشوي، لم يأكلوا منه.

وقال رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ**»، وفي رواية: «**دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ**»(١).

أي: أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ في صورة رجل يُسمى دحية.

وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على أن الملائكة يتمثلون في صورة بشر.

٦٣- واعلم أن عدد الملائكة لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وفي رحلة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ مع جبريل عليه السلام، قال: «... **ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٧).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩-١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢)، وانظر التتبع للدارقطني.

٦٤- وأن الملائكة لها أعمال، ولها أسماء.

ولا نثبت من ذلك إلا ما جاء في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر بعض الملائكة بأسمائهم، ومن الملائكة من ذُكر عملهم ولم تذكر أسماؤهم، ونذكر منهم:

جبريل عليه السلام، أشرف الملائكة.

وهو الذي وكله الله تعالى بالوحي، والوحي في لغة العرب معناه: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال: وَحيْتُ إليه الكلام، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي: إليها، فمعنى هذا: أمرها[1].

والمقصود بالوحي في شرع الله تعالى: هو القرآن المنزل على النبي ﷺ[2]، وهذا أشهر أنواع الوحي الذي يكون بواسطة جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ [الشعراء].

قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣﴾ وهو جبريل عليه السلام، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ أي: القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد باللسان العربي الفصيح[3].

والسنة أيضًا وحي، إما أن تكون بواسطة جبريل -عليه السلام-

---

(١) لسان العرب (٩/ ٢٤٣) باختصار.

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١٤-١٥).

(٣) راجع تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٢-٣٧٣).

والقول من النبي ﷺ، ، أو بإلقاء المعنى في نفسه ﷺ في خفاء، ويكون القول من النبي ﷺ، والأدلة على أن السنة وحي كثيرة جدًّا، وستأتي قريبًا[١].

ميكائيل عليه السلام، وهو من أشرف الملائكة.

جاء اسمه في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وميكائيل عليه السلام هو الموكل بالمطر والنبات[٢] بإذن ربه تبارك وتعالى.

إسرافيل عليه السلام.

هو الموكل بالنفخ في الصور وعليه أكثر العلماء، ولم يذكر اسمه في القرآن، وقد جاء اسمه في بعض الأحاديث[٣].

والصور: قرن ينفخ فيه فيصعق جميع الخلق (أي: يهلكون) إلا ما شاء الله، ثم ينفخ فيه مرة أخرى فيقوم الخلق للحساب.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

مالك عليه السلام خازن النار، والزبانية.

والخازن: الذي يتولى المسؤولية، فمالك هو المسؤول عن النار.

---

(١) انظر: باب الإيمان بالرسل ووجوب اتباع النبي ﷺ.

(٢) وجاء ذلك في حديث أخرجه أحمد (١/ ٢٧٤)، والترمذي (٣١١٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٧٢).

(٣) انظر: صحيح مسلم (٧٧٠)، وانظر: مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٥١)، والسلسلة الصحيحة (٣٢٤١).

والزبانية: هم الملائكة الموكلون بالنار، قال تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، ومقدمهم تسعة عشر ملكًا، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠].

ومالك عليه السلام خازن جهنم، وهو مقدم على جميع الخزنة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

ملك الموت عليه السلام، وأعوانه.

هو الملك الموكّل بقبض أرواح بني آدم ومعه أعوان، ولم يذكر اسمه في القرآن أو السنة، وأما ما انتشر عند الناس أن الذي يقبض روح الإنسان اسمه «عزرائيل» فهذا غير صحيح، وليس عليه دليل من القرآن أو السنة.

قال تبارك اسمه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام].

٦٥- الملكان اللذان يكتبان الحسنات والسيئات.

لم يذكر اسمهما في القرآن أو السنة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

﴿ ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾: هما ملكان يتلقيان عملك، أحدهما عن يمينك يكتب

حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك[١].

قوله تعالى: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾: صفتان للملكين وليس اسمين لهما كما يظن بعض الناس، والمعنى: «أن كل من الملكين رقيب على أعمالك، وعتيد: أي معتد لرقابة أعمال وأقوال العباد ليكتبها»[٢]، فهو حاضر لا يمكن أن يغيب، قاعد مراقب لك، لا يفوته شيء من كلامك.

فانتبه، فكل ما تتكلم به يكتب إما لك، أو عليك، باستثناء الكلام المباح، الذي ليس فيه خير ولا شر.

٦٦- واعلم أن هناك أصنافًا أخرى من الملائكة كل منها وكِّل بعمل من الأعمال التي أمره الله بها.

منهم: الملك الموكّل بنفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه[٣].

ومنهم الملائكة حملة العرش، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة]، وهؤلاء الملائكة حملة العرش يدعون للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، وأن يتجاوز الله عن سيئاتهم، ويقيهم عذاب النار، ويدخلهم الجنة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٣-١٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: صحيح البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

ومنهم: الموكل بسؤال العبد في قبره: وهما ملكان يسألان العبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه ﷺ، وسيأتي بيان ذلك في ذكر اليوم الآخر.

ومنهم ملائكة يتبعون مجالس الذكر: فإذا جلس المؤمنون في مجلس لدراسة القرآن، أو ذكر الله على هدي رسول الله ﷺ حضرت الملائكة معهم، والأحاديث في ذلك كثيرة[١].

ومنهم: ملائكة تصلي على العباد: أي: تدعو لهم، قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب]، وصلاة الله ثناء على عباده[٢].

ومنهم: سبعون ألف ملك يدخلون البيت المعمور في السماء السابعة ثم لا يعودون إليه[٣].

وغير ذلك من الملائكة وما وكل إليهم من أعمال.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٦٩٩) وغيره.
(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٥)، وجامع البيان (١٢/ ٥٣).
(٣) انظر: صحيح البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

الإيمان بالكتب

٦٧- نؤمن إيمانًا جازمًا ونصدق بكتب الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى:١٥].

«أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، لا نفرق بين أحد منهم»[(١)]، وغير ذلك من الآيات التي جاء فيها الأمر بالإيمان بكتب الله عز وجل.

٦٨- وأن الله تعالى ذكر بعض أسماء الكتب.

كصحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى].

والتوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليهما السلام.

والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣، والإسراء: ٥٥].

والقرآن، وهو خاتم الكتب التي أنزلها الله على سيد الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ.

٦٩- ونؤمن بأن الله تعالى تكلم بهذه الكتب حقيقة.

إما من وراء حجاب كما كلم اللهُ موسى عليه السلام، وسمع موسى من ربه من وراء حجاب فلم ير موسى عليه السلام ربه[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/ ٢٧٠) ط. ابن رجب.

(٢) واعلم أن الله تعالى كلم نبينا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وكلَّم آدم عليه السلام- انظر: تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ =

أو يسمع الرسول الملكي -أي رسول من الملائكة- من الله ثم يبلغ ما سمعه إلى الرسول من البشر، كما بلغ جبريل عليه السلام القرآن الذي سمعه من الله تعالى إلى رسول الله ﷺ(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وقال تعالى لموسى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

وقال عن عيسى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦، والحديد: ٢٧].

وقال تعالى في شأن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، وغيرها من الآيات.

والروح الأمين: هو جبريل عليه السلام.

ومن الكتب ما كتبه الله تعالى بيده: قال الله تعالى في شأن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

=

ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٢٣)، وجامع البيان (٢٦/ ٦٠)، وغيرهما.

وقال آدم عليه السلام لموسى عليه السلام: وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ[١].

٧٠- وأن القرآن مهيمن على جميع الكتب المتقدمة.

أي: شاهد على ما قبله من الكتب، ومصدقًا ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير[٢].

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة].

٧١- يجب على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وغيرهم التمسك بالقرآن:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص].

قال أهل التفسير: يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ وهم أهل التوراة والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا ﴿هُم بِهِۦ﴾ أي: بهذا القرآن ومن جاء به، أي: رسول الله ﷺ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، واللفظ لمسلم.

(٢) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحكمي (ص: ٦٠) بتصرف.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٢).

٧٢- وأن العمل بالقرآن والتحاكم إليه في الظاهر والباطن واجب على جميع الأمة:

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال رسول الله ﷺ: «... **فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»[1].

فيجب على كل مسلم قراءة القرآن وتدبره، وحفظه إن استطاع، ويجب عليه الانقياد لكل أمر جاء فيه، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه.

والاعتبار والاتعاظ بما جاء فيه من قصص الأمم السابقة، والدعوة إلى ذلك على بصيرة وعلم.

واعلم أن لا نجاح ولا فلاح على الحقيقة في الدنيا والآخرة إلا بالتمسك بكتاب الله العزيز.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٠٨).

الإيمان بالرسل

٧٣- ومن أصول الاعتقاد: الإيمان برسل الله جل جلاله.

قال تبارك وتعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة].

٧٤- ونؤمن بجميع رسل الله تعالى، ولا نكذب منهم أحدًا.

قال الله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء].

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

لما ذكر المشركين والمنافقين، ذكر الكفار من أهل الكتاب -اليهود والنصارى- إذ كفروا بمحمد ﷺ وبيَّن أن الكفر به كفر بالكل ... ، معنى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: بين الإيمان بالله ورسوله، فنص سبحانه على التفريق بين الله ورسوله كفر، وإنما كان كفرًا؛ لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم ... فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر ....، وكذلك التفريق بين رسله في

الإيمان بهم كفر... كاليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد ﷺ[١].

٧٥- نؤمن بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا منهم يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، واجتناب الطاغوت.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

٧٦- وأنهم اتفقوا في أصل العبادة، واختلفت شرائعهم في فروعها من الحلال والحرام.

فالآيات السابقة تدل على أن الله تعالى أرسل جميع الرسل لعبادته وتوحيده، ولكن كل رسول جاء بشريعة تختلف في الأحكام -أي:الحلال والحرام وما يجب على العبد، وما لا يجب، وغير ذلك من أحكام- عن شريعة من كان قبله من الرسل، لبلاء وامتحان الناس، هل يتركون ما وجدوا عليه آباءهم من الشرائع التي أراد الله تغييرها لحكمة، معتقدين أن مشيئة الله مبنية على أساس الحِكَم البالغة والمصالح النافعة للعبادة في الدنيا والآخرة أم لا؟![٢].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٩) بتصرف يسير.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٣/ ١٤٠) بتصرف.

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: أي: شريعة موصلة إلى الله ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ أي: طريقًا واضحًا في الدين(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(٢).

معنى الحديث: إخوة علّات: هم الإخوة لأب من أمهات شتى... قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف..(٣).

٧٧- نؤمن بأن الله ذكر أسماء بعض الرسل في القرآن، ولم يذكر أسماء كل الرسل.

قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

والرسل الذين ذُكرت أسماؤهم في القرآن هم: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

(٣) مسلم بشرح النووي (٨/ ١٣٢) باختصار.

وإليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، ومحمد رسول الله ﷺ.

٧٨- ونؤمن بأولي العزم من الرسل، وأن أول الأنبياء آدم عليه السلام، وأول الرسل نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

معنى أولي العزم: أي: ذوو العزم والصبر والجلد.

وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد رسول الله -عليهم صلوات الله وسلامه-، وجاء ذكرهم في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ [الأحزاب].

وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى].

دليل أن أول الرسل نوح: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وفي حديث الشفاعة الطويل وعنه: «**فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ**»(١).

وأول الأنبياء آدم عليه السلام: ودليل ذلك: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤-٣٢٧).

الله، أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ»[١]، ومعلوم أن آدم أول البشر، ودلَّ الحديث أنه كان نبيًّا، فدلَّ على أنه أول الأنبياء.

والفرق بين النبي والرسول: أن النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، أما إذا كان يعمل بشرعة من قبله، ولم يرسل هو إلى أحد -معاند- يبلغه عن الله رسالة، وإنما أرسل إلى قوم مؤمنين يجدد لهم إيمانهم كالعالم الذي يعظ الناس، فهو نبي وليس برسول[٢].

٧٩- وأن محمدًا رسول الله وخاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

وقال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[٣].

وقال رسول الله ﷺ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[٤].

٨٠- وأن الله تعالى اختصه ﷺ من بين الأنبياء بخصائص كثيرة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨)، وابن حبان (٦١٩٠)، والحاكم (٣٣٤٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٣٥٨).

(٢) اختلف العلماء في الفرق بين الرسول والنبي، وهذا القول الذي ذكرته هو الراجح عند شيخ الإسلام، انظر: النبوات (ص: ٢٤٢-٢٤٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٤٠٦)، والصحيحة (١٦٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

منها: أنه خاتم الأنبياء كما ذكرنا، وأن كل الأنبياء لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

أي: أن الله تعالى أخذ العهد على الأنبياء لو أدركوا النبي ﷺ أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه، فهذه الآية من أعظم الأدلة على علو مرتبته وجلالة قدره ﷺ[1].

ومنها: أنه سيد البشر، قال النبي ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»[2].

ومنها: أن الله تبارك وتعالى اصطفاه ﷺ بأن أنزل عليه القرآن، وهو الكتاب المهيمن على جميع الكتب، وقد بينا ذلك[3].

ومنها: أن الله عز وجل بعثه إلى الجن والإنس، وكان الأنبياء من قبله كل منهم يُبعث لقومه فقط.

قال الله جل ذكره: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

ومنها: ما أخبر ﷺ في قوله: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي:**

---

(١) ملتقط من تفسير السعدي (ص: ١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٠)، ومسلم (٣٣٧٨)، واللفظ له.

(٣) راجع باب الإيمان بالكتب.

نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1].

ومنها: أن الله تعالى نادى جميع الأنبياء في القرآن بأسمائهم مجردة من ألقاب إلا رسول الله ﷺ، وهذا تشريف من الله سبحانه لنبينا ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢].

أما نبينا ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، فخاطبه بأعظم الصفات.

ومنها: أن الله تعالى لم يقسم بحياة أحد من البشر قط إلا نبينا ﷺ، فقد أقسم بحياته، قال تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر].

ومنها: أنه أول من تفتح له أبواب الجنة، فلا تفتح لأحد قبله ﷺ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥، ٤٢٨)، ومسلم (٥٢١).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١٩٧).

إلى غير ذلك مما خصه الله به عن سائر الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا-.

٨١- ونؤمن بالآيات والبراهين التي يؤتاها الأنبياء والمرسلون.

وهذه الآيات والبراهين بمثابة تأييد وتصديق من قِبَل الله لنبيه أو رسوله، ليثبت أمام المرسل إليهم حقيقة بعثته وصدق رسالته.

وتكون حجة على المكذبين أو الشاكين، وهي إما تشاهد بالبصر، أو تسمع؛ كخروج ناقة نبي الله صالح من الصخرة، وانقلاب عصى موسى عليه السلام إلى حية، أو كالقرآن الكريم الذي هو أعظم الآيات والبراهين على صدق نبوة رسول الله ﷺ.

٨٢- واعلم أن الله تعالى خص النبي ﷺ بآيات وبراهين كثيرة، منها:

رحلة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١].

معنى الإسراء: هو السير ليلًا، ومعنى المعراج: المصعد أو السلم، والمعراج لغة: الصعود إلى أعلى.

نؤمن بأن رسول الله ﷺ أُسري به من مكة إلى المسجد الأقصى في اليقظة بجسده وروحه في ليلة واحدة بواسطة جبريل عليه السلام، فقد حمله على البراق (وهي دابة بين الحمار والبغل)، ثم عرج به إلى السماوات، فرأى من آيات ربه الكبرى، رأى ملائكة ربه عز وجل، ورأى إخوانه من الأنبياء... وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات، ودخل الجنة، واطلع على النار[1].

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (ص: ٣٧٧)، وفتح الباري (٨/ ٤٧٥)، وشرح السنة =

وكل ذلك وغيره ثابت في الأحاديث الصحيحة[١].

وانشقاق القمر، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ [القمر]، وحنين الجذع للنبي ﷺ لما ترك الصلاة عليه[٢]، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة[٣]، وتسبيح الطعام[٤]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي جاءت فيها الآيات والبراهين الخاصة بنبينا ﷺ.

وأعظم آية لنبينا ﷺ الآية الباقية الخالدة ألا وهي القرآن كلام الله الذي أعجز العقول عجائبه التي لا تنقضي.

وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تدل على إعجازه.

فقد تحدى الله جل جلاله أفصح الخلق وأقدرهم على الكلام وأعظمهم بلاغة -وهم العرب- بالقرآن مع شدة حرصهم على تكذيب النبي ﷺ.

فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل القرآن ما استطاعوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور فما استطاعوا، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من سور القرآن فما استطاعوا.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا

=

للبربهاري (ص: ٨١).

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، (١٦٢)، وغيرهما.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٩١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

وقد صنف العلماء على مدار أكثر من ألف وأربعمائة عام مئات الكتب لاستخراج كنوز القرآن.

كتب في تفسير القرآن، وعلوم القرآن، وهي كثيرة جدًّا، والإعجاز العلمي في القرآن، وغير ذلك، وهذا من أعظم الدلائل على أن القرآن كلام الله، فما سمعنا ولا قرأنا عن كتاب -على مدار التاريخ- استخرج منه كل هذه العلوم وتلك المصنفات، وما علمنا كتابًا على وجه الأرض يُقرأ مئات المرات ثم لا يجد القارئ مللًا من تلاوته وخاصة إذا كان قلبه سليمًا، حقًّا ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

٨٣- ونؤمن بكرامات الأولياء.

ونفرق بينها وبين آيات الأنبياء، فقد علمت ما هي آيات وبراهين الأنبياء، أما الكرامة فهي: أمر خارق للعادة يحصل لبعض أولياء الله الصالحين المتقين؛ كما حصل لمريم -عليها السلام- عندما اعتزلت الأهل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١، ٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

والناس، واتخذت مكانًا للتعبد، فكانت صالحة قانتة لله تعالى حافظة لفرجها، فلما كانت كذلك رزقها الله تعالى من غير الأسباب وبغير حساب، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]، ورزقت بعيسى عليه السلام بغير أب.

وقصة أصحاب الكهف: التي جاءت في القرآن في سورة الكهف.

وقصة أصحاب البقرة: لما قُتل رجل من بني إسرائيل، واختلفوا فيمن قتله، فأمر اللهُ تعالى موسى عليه السلام أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا هذا القتيل ببعضها، ففعلوا فأحياه الله وأخبر عن الرجل الذي قتله، ولا شك أنها كرامة لهؤلاء الناس.

قال تعالى ذكره: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة]، وغيرها من الكرامات التي جاءت في الكتاب والسنة.

٨٤- ولا بد أن نعرف من هم أولياء الله، ومن هم أولياء الشيطان.

الولي: هو المؤمن التقي، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

فالكرامات لا تكون إلا لأوليائه الخاشعين، الصادقين، المخلصين، الحافظين لحدود الله، والمعظمين أمره ونهيه، المواظبين على فعل الواجبات والمستحبات، أفعالهم وأقوالهم منضبطة بالكتاب والسنة.

وأفضل أولياء الله هم صحابة رسول الله ﷺ، فهم أكمل الأمة في معرفة الدين واتباع النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكون من أولياء الله[١].

أما أولياء الشيطان وما يجري على أيديهم من أمور فليست كرامة.

كالدجال والمشعوذ والساحر، وما يحدث لهم من أمور خارقة للعادة من مساعدة الشيطان لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

فلو طار رجل في الهواء، أو مشى على الماء، ولا يتبع القرآن والسنة، نعلم أنها أحوال شيطانية من وحي الشيطان ليضل الناس[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

فصل

في وجوب اتباع النبي ﷺ والتمسك بسنته

٨٥- واعلم أن الله تعالى أمر بطاعة النبي ﷺ في القرآن، وجاءت أحاديث بذلك.

وقرن طاعته سبحانه بطاعة رسوله، فمن أطاع رسول الله ﷺ فقد أطاع الله.

قال الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [الأنفال].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ**»(١).

٨٦- واعلم أن الفوز والنجاة من النار، والرحمة والهداية وحب الله للعبد في طاعته ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤].

وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران].

٨٧- وأن الله حذَّر من معصية الرسول، وجاءت آيات وأحاديث بذلك.

قال جل جلاله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينًا ٣٦﴾ [الأحزاب].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

وقال جل ذكره: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق، أو بدعة[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٢].

وغير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

٨٨- واعلم أن النبي ﷺ معصوم من الخطأ والنسيان في كل ما يبلّغ عن الله عز وجل.

لأن النبي ﷺ لا يتكلم إلا بوحي من الله تعالى، قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

قال إمام المفسرين الطبري رحمه الله: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ[٣].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

قال الإمام السعدي رحمه الله: أي: كل من أطاع رسول الله ﷺ في أوامره ونواهيه ﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه وتنزيله، وفي هذا عصمة النبي ﷺ، فلولا أنه معصوم في كل ما

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٠/ ٢٩٢) ط. ابن رجب.
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠)، وانظر مقدمة فتح الباري.
(٣) جامع البيان (١٣/ ٥٦).

يبلغ عن الله، لم يأمر بطاعته مطلقًا، ويمدح على ذلك[١].

٨٩- وأن السنة المصدر الثاني في شرع الله تعالى.

يعني في العدد لا في الترتيب، فالأمر أو النهي إذا جاء في سنة رسول الله كأنه جاء في القرآن، لا فرق بينهما، فالشرع -كتاب وسنة- وكلاهما وحي من الله، فالسنة وهي الأحاديث الصحيحة عن رسول الله وحي من الله لنبينا ﷺ، إما بإلقاء المعنى في نفسه ﷺ في خفاء ويكون القول من النبي ﷺ، وإما عن طريق جبريل عليه السلام[٢][٣].

قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٨٩).

(٢) راجع: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٣٣٥)، والمفردات للراغب (ص: ٥٧٠-٥٧١).

(٣) ومن الأدلة على أن السنة وحيٌ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الخَلُوقِ - أَوْ قَالَ: صُفْرَةٌ -، فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عُمْرَتِي؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسُتِرَ بِثَوْبٍ، وَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَقَالَ عُمَرُ: تَعَالَ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الوَحْيَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ، - وَأَحْسِبُهُ قَالَ: كَغَطِيطِ البَكْرِ - فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ العُمْرَةِ؟ اخْلَعْ عَنْكَ الجُبَّةَ، وَاغْسِلْ أَثَرَ الخَلُوقِ عَنْكَ، وَأَنْقِ الصُّفْرَةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ**»، أخرجه البخاري (١٧٨٩). وجه الدلالة من الحديث: وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الوَحْيَ؟، فدلَّ الحديث على أن السنة وحيٌ، وقد ترد أحكام في السنة ليست في القرآن فيجب على كل مسلم العمل بها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قد أجمع الناس على أن الرد إلى الله إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته ... وتأمل قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ كيف أعاد الفعل (وهو طاعة الرسول) ليدل على أنه يطاع استقلالًا، وإن أمر بما ليس في القرآن الأمر به، ونهى عما ليس في القرآن النهي عنه، فإنه أُوتي الكتاب ومثله معه[1]، أي: السنة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم أن السنة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[2]، أي: أوتيت القرآن، وأوتيت مثلَه من السنة التي لم ينطق بها القرآن[3].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة]، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران].

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٢/ ٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠، ١٣١)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٧٠)، وصحيح الجامع (٢٦٤٣).

(٣) إرشاد الفحول (١/ ١٩٥-١٩٧) باختصار.

فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ..[١].

٩٠- واعلم أن السنة تفسير ما جاء مجملًا في القرآن.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك.

فالرسول مبين عن الله عز وجل مرادَهُ مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يفصله الله تعالى[٢].

فاسأل الذي يريد أن يصد المسلمين عن سنة رسول الله ﷺ:

هل جاء عدد ركعات الصلاة في القرآن؟ والجواب: لا، فالله عز وجل أمر بالصلاة في كتابه ولم يفسرها ولم يخبر بعدد الركعات، فجعل رسول الله ﷺ هو المفسر والمبيّن لها، فعلمنا من السنة أن صلاة الفجر ركعتان، والظهر والعصر والعشاء أربع، والمغرب ثلاث.

وأمر الله تعالى بإخراج الزكاة، ولم يذكر في القرآن نصاب الزكاة، فكيف نخرج الزكاة؟ وما مقدارها؟ وما وقت إخراجها؟ إلى غير ذلك من الأحكام المتعلقة بالزكاة.

وكذلك الصيام وما يترتب عليه من أحكام وكفارات لم يفسرها الله

---

(١) الرسالة للشافعي (ص: ١٢٥-١٢٦) باختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١١٤).

في القرآن؛ إذن؛ كيف نصوم؟ لا بد من الرجوع إلى السنة.

وكذلك الحج أمر الله به على وجه الإجمال، فكيف نحج؟ وما هي المواقيت؟ والأماكن التي نذهب إليها؟ وما هي مفسدات الحج؟ وما هي الأعمال التي تجب فيه مع كثرتها؟ كيف لنا أن نعلم كل هذا بغير الرجوع إلى السنة؟!

وذلك في الدين كله، فقه البيع والشراء وأنواع الربا التي تقع في المعاملات المالية، وأحكام المواريث والهبات والديات والحدود، والزواج وأحكامه، والطلاق وما يترتب عليه، كل هذا جاء مجملًا في القرآن، ثم بيَّن لنا النبي ﷺ ذلك كله في الأحاديث التي رويت عنه بأسانيد صحيحة... فانتبه.

ونذكر حديثًا من الأحاديث الكثيرة جدًّا التي تدل على صدق نبوته وأنه حقًّا رسول الله ﷺ.

قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»[1].

ومعنى الحديث: أن رسول الله أخبر عن رجلٍ شبعان كناية عن البلادة وسوء الفهم الناشئ عن الشبع، أو الحماقة اللازمة لأهل الترف والغرور بالمال الذين عصوا الله بنعمه وأعرضوا عن طاعته، وأن هذا

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

الرجل الجاهل وأمثاله يرفض سنة رسول الله ويقول: نكتفي بالقرآن، وقد ظهر هؤلاء الذين يردون السنة، وفي ردهم للسنة رد للدين كله؛ لأنه كما بينا أن الأحكام والأوامر والنواهي جاءت مجملة في القرآن، وفسر لنا رسول الله في الأحاديث ما أُجمل في القرآن(١).

قال الإمام الأصبهاني رحمه الله: إذا رأيت الرجل يخاصم في دين الله، ويجادل في كتاب الله، فإذا قيل له: قال رسول الله ﷺ، قال: حسبنا كتاب الله، فاعلم أنه صاحب بدعة(٢).

٩١- واعلم أنه لا يجوز تقديم الرأي على السنة.

فإذا جاء الأمر أو النهي في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز ترك العمل بخلافه من أجل فتوى من أي أحد مهما بلغ علمه.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد(٣).

قال الإمام مالك رحمه الله: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ(٤).

أي: كل إنسان يصيب في رأيه ويخطئ، إلا رسول الله ﷺ؛ لأنه معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله، وقد تقدم بيان ذلك.

٩٢- واحذر البدع، فكل بدعة ضلالة، وليس في البدع ما هو حسن.

---

(١) ملتقط من عون المعبود (١٢/ ٢٣٢) بتصرف.
(٢) الحجة في بيان المحجة (ص: ٥٢٢).
(٣) انظر: فتح المجيد (ص: ٤٢١-٤٢٦).
(٤) المصدر السابق.

قال النبي ﷺ: «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

والبدعة في الدين هي: ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب، ولا استحباب(٢).

فالبدع مذمومة عقلًا وشرعًا، فالعقل السليم يعلم أنه من المحال أن يدرك ما يصلح العباد إلا رب العباد، وقد وبَّخ الله تعالى الكفار حيث شرعوا للناس ما ليس من الدين.

قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فكل من عمل عملًا أو قال قولًا يتقرب به إلى الله من غير أن يشرعه الله -أي لم يأت في الكتاب أو السنة- فقد شرع للناس دينًا من عنده لم يأذن به الله(٣).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان؛ لأن الله تعالى قال فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٧)، وابن ماجه (٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٨).

(٣) ملتقط من مجموع الفتاوى (٤/ ١٩٥) بتصرف.

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٣).

٩٣- واعلم أن النبي ﷺ قد حذر من البدع ومحدثات الأمور في الدين.

قال النبي ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤)، وأشار إلى تصحيح العلماء له. ومن العلماء من ضعف زيادة: كلها في النار إلا واحدة، قال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٦٨): أما زيادة كونها في النار إلا واحدة، فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم: إنها موضوعة. انتهى.

قلت: والحديث صحيح ثابت تلقته جماهير العلماء من السلف و الخلف بالقبول.

فصل

في الواجب علينا نحو أصحاب رسول الله ﷺ

وأهل بيته والمسلمين

٩٤- اعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين.

الذين نقلوا لنا الشريعة -قرآنًا وسنةً- رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فأثنى الله تعالى ورسوله عليهم.

فنحن نتقرب إلى الله بحبهم وذكر محاسنهم، فقد جعل الله تعالى حبهم من الدين والإيمان، وبغضهم من النفاق.

وأوجب الله على أمة نبينا ﷺ عدم الخروج عن منهجهم الذي تلقوه من رسول الله ﷺ بل جعل جهنم لمن خالفهم في عقائدهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

والمؤمنون آنذاك وقت نزول القرآن هم الصحابة، هؤلاء الرجال الذين لم ولن يشهد التاريخ مثلهم رضي الله عنهم جميعًا.

٩٥- وأن الله عز وجل أثنى عليهم في آيات كثيرة في القرآن.

وكفى به شرفًا لهم، فوصفهم في عدة آيات بصفات جليلة وأخلاق حميدة، فهم حقًّا خير البشر بعد الأنبياء، ونذكر هنا بعض الآيات التي زكى الله تعالى فيها الصحابة الكرام، منها:

١- وصفهم بالإخلاص والتوحيد.

قال تبارك وتعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٢٦﴾ [الفتح].

﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، كما قال أهل التفسير: لا إله إلا الله محمد

رسول الله... وقيل: الإخلاص[١]، ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾، أي: أحق أن يكونوا من أهل التوحيد والإيمان بالله من كفار مكة؛ لأن الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه[٢].

٢- زكى الله تعالى إيمانهم وعقائدهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فجعل الهداية والتوفيق والرشاد في تصديق ما كان عليه الصحابة ومن تبع منهجهم من المؤمنين، والمفهوم من الآية أن من خالفهم في الإيمان والاعتقاد فهو من الضالين، فكيف بمن سبهم وكفرهم ولعنهم؟!!

٣- وصفهم الله في القرآن بأنهم رحماء، وعُبَّاد ومخلصون.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤- وصفهم بالصدق والإيثار.

قال الله عز وجل: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٤) باختصار.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٦) بتصرف.

وقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

والإيثار: أن تفضل وتقدم مصلحة أخيك المسلم على نفسك، ولو كنت محتاجًا لهذا الشيء، سواء كان مالًا أو غير ذلك، وتحقيق هذه الصفة (الإيثار) من الأمور الشاقة جدًّا على النفس، ولا يصل إليها إلا صفوة الخلق؛ كالصحابة ومن تبعهم.

٥- سألوا الله أن يصرف عن قلوبهم الغل، فاستجاب لهم ربهم، وشهد لهم أنهم متحابون في الله.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

فدلت الآية على أن الدعاء بنفي الغل عن القلب الشامل لقليل الغل وكثيره، وثبوت ضده وهو المحبة للمؤمنين والدعاء لهم على سلامة قلوب الصحابة من الغل، وثبوت حبهم بعضهم لبعض.

٦- كتب لهم الرضوان -سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ الطمأنينة والرضا ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ يعني: فتح خيبر[1].

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٣٠٦).

٧- وعدهم الله جميعًا الجنة.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم رضي الله عنهم حيث شهد الله لهم بالإيمان ووعدهم بالجنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران].

وغيرها من الآيات التي جاء فيها تزكية الصحابة.

تنبيه:

«كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين، ومدحهم والثناء عليهم، فهم (أي: الصحابة) أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل من هذه الأمة»(١).

وقد زكى النبي ﷺ الصحابة في أحاديث كثيرة سيأتي ذِكر بعض منها.

٩٦- ونشهد أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٢). وهم الذين قاتلوا مع رسول الله في غزوة بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا.

وكذا أهل بيعة الرضوان؛ نؤمن بأنه «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»(٣)، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا ألفًا

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٤٩) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة.

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

أي: أصحاب النبي ﷺ الذين بايعوه وعاهدوه على الصبر والجهاد، وقيل لها بيعة الرضوان لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها: بيعة الشجرة... فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى يموتوا، فأخبر الله أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال[١].

٩٧- ونشهد أن الصحابة رضي الله عنهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين.

قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٢].

وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[٣].

والمُد: ربع الصاع، ونصيفه، أي: نصفه[٤].

٩٨- ونؤمن بأن أفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون الأربعة.

وهؤلاء الأربعة قال فيهم رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٩٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢١٢-٢٥٣٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٣٥٤١).
(٤) انظر: اللسان (٨/ ٢٣١)، والصاع حوالي: (٢) كيلو و(٤٠) جرامًا.
(٥) صحيح: تقدم تخريجه.

والخلفاء الأربعة هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ»(١).

ومن فضائل أبي بكر الصديق:

ما دل عليه قول الله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وأبو بكر الصديق هو الذي كان مع النبي ﷺ في الغار (٢).

ولما أراد المشركون قتل النبي ﷺ أو حبسه أو نفيه من مكة، وخرج منها، فصحبه أبو بكر، ودخلا غار ثور، فقال أبو بكر له: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فقال النبي ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ**»(٤).

وغيرها من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن فضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال النبي ﷺ: «**قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥) وغيره.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) وغيره.

أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»[١].

محدثون، أي: مُلهمون، أن يجعل الله الحق على لسانه[٢].

وقال له رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»[٣].

الفج: الطريق الواسع.

ومن فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»[٤]، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ النبي ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»[٥]، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رجل تستحي منه الملائكة؛ قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[٦].

وبشارة النبي ﷺ له بالشهادة والجنة.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حدثهم أن النبي ﷺ صعد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٨).
(٢) فتح الباري (٧/ ٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).
(٤) رواه البخاري مع الفتح معلقًا بصيغة الجزم (٧/ ٦٥).
(٥) التخريج السابق.
(٦) أخرجه مسلم (٢٤٠١).
(٧) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

وأُحد: جبل في مدينة رسول الله ﷺ، ولا يخفى أن الصديق هو أبو بكر، والشهيدان هما: عمر بن الخطاب، وعثمان، وكلاهما مات شهيدًا، وغير ذلك من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن فضائل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زوج بنت رسول الله ﷺ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

يكفيه شرفًا قول رسول الله ﷺ له: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»(١)، وقال له ﷺ: «**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ -أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ- غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ -أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ-، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»(٣).

وقال ﷺ في ابني عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-الحسن والحسين-: «**سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٤).

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبيَّ والحسن بن عليٍّ على عَاتِقِه يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**»(٥).

٩٩- واعلم أن مدة خلافة هؤلاء الأربعةِ ثلاثون سنة.

فمدة خلافة أبي بكر: سنتان وثلاثة أشهر، ومدة خلافة عمر: عشر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).
(٣) انظر: صحيح البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).
(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٣، ٦٢) وغيرهما.
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٣٤٢٢).

سنوات وستة أشهر، ومدة خلافة عثمان: اثنتا عشرة سنة، ومدة خلافة علي بن أبي طالب: أربع سنين وتسعة أشهر[١].

وأجمعت الأمة على خلافة هؤلاء الأربعة، ولا يطعن في ذلك إلا ضال مضل مبتدع، رضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ.

١٠٠- ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة.

عن أبي الأعور سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ**». قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ»: أَبُو الأَعْوَرِ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ[٢].

وقد ثبت في أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ بشارته لكثير من الصحابة ومنهم العشرة، وخصوا بذلك الوصف؛ لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد[٣].

١٠١- ولا نشهد لأحد أنه من أهل الجنة أو النار.

فمن كان من المسلمين على خير وصلاح ومات على ذلك، نرجو له رحمة الله ونسأل له الجنة، ولا نجزم له بالرحمة، فلا أحد يعلم هل سيرحمه

---

(١) انظر: شرح لمعة الاعتقاد (ص: ١٤٣) لابن عثيمين.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٤٨)، والنسائي في الكبرى (٨١٣٩)، وأحمد (١/ ١٨٨) وغيرهم.

(٣) انظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص: ١٤٥) بشرح ابن عثيمين.

الله أم لا، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَعْجَبُوا بِعَمَلِ أَحَدٍ، حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ**»(١).

وكذلك من مات على معصية نصلي عليه(٢)، ونرجو له رحمة الله، ولا نشهد له أنه من أهل النار، وقد سبق بيان أن من مات من المسلمين على المعاصي -دون الكفر- من غير توبة فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته.

١٠٢- ونحب أهل بيت رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج (أي زوجات النبي ﷺ) وغيرهم(٣).

وسأل الصحابة رسول الله ﷺ: كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٤).

فنحن نتقرب إلى الله بحبنا لآل بيت رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٢٠) رقم (١٢٢١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١١٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٥٠)، وتفسير القرطبي (١٤/ ١٧٧)، وأضواء البيان (٦/ ٢٣٦) وغيرهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

ولكن حب أهل السنة والجماعة منضبط بضوابط الشرع (كتاب وسُنة)، لا إفراط في حبهم فننزلهم منازل الأنبياء أو الملائكة أو نوجب لهم العصمة إلى غير ذلك، ولا نفرط في حبهم كالشيعة الذين سبُّوا زوجات النبي ﷺ والصحابة، وقد سبق بيان قدر الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

١٠٣- واعلم أن طاعة ولاة الأمور واجبة، ما لم يأمروا بمعصية، فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»[(١)].

١٠٤- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي.

كلٌّ بحسب استطاعته، شرط أن لا يترتب على إزالة المنكر ما هو أنكر منه، ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن العبد إلا إذا قام به غيره.

وإنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كان عالمًا بما يأمر وينهى، أو تكون محرمات مشهورة معلومة للمسلمين؛ كتحريم الخمر، والسرقة، والزنا، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها.

وكوجوب الصلاة، والصيام، والزكاة، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٣-١٨٥٤).

وكل ذلك بالرفق واللين، فهو أقرب لحصول المطلوب.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه[١].

وأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[٢].

فإذا قمت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشروط التي ذكرناها، ولم يُستجاب لك، فلا تضرك مخالفة العاصي، قال تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد تكررت الآية في القرآن.

١٠٥- ولا يحل قتل مسلم إلا بحق، وهذا الحق الذي يقوم بأخذه الحاكم والقضاء، وليس لأي مسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) راجع شرح مسلم للإمام النووي (١/ ٣٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»(١).

وفي السنن: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**»(٢).

١٠٦- ونتولى من يحبه الله تعالى ورسوله، ونعادي من يعادي الله ورسوله.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة].

وقال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١].

والولاية: هي المحبة والنصرة والإكرام.

ولن تجد حلاوة للدين والعبادات والأخلاق والمعاملات بين الناس إلا إذا أحببت الله ورسوله، ولذلك تجد أكثر المسلمين الآن أعرضوا عن الدين؛ لأنهم لم يذوقوا حلاوته، ولو ذاقوا حلاوة الطاعة ما أعرضوا.

قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي (٣٩٨٧) مرفوعًا وموقوفًا، قال البيهقي: والموقوف أصحُّ - تفسير ابن كثير (٩/ ٧).

أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[١].

١٠٧- والمعاداة لأعداء الله ورسوله واجبة، ولا يترتب على هذه العداوة أذى من قتل أو سرقة أو أخذ مال بغير حق، كل ذلك حرام.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

ومع ذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ ببرهم والإحسان إليهم، ما لم يقاتلوا أو يؤذوا المسلمين.

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة].

أي: لا ينهاكم الله عن الإحسان والبر والصلة للمشركين الذين لم يقاتلوكم بسبب إسلامكم ولم يخرجوكم من دياركم، وأن تعدلوا بينهم وتعطوهم ما لهم من حق عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾ الذين يعدلون في أنفسهم وأهليهم وإن كانوا كفرة.

ولما نهى في أول السورة[٢] عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء وقطع المودة بينهم وبينهم، توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة، فبيَّن الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

عن ذلك، بل هو من الإحسان الذي يحبه الله ويرضاه، وكتبه على كل شيء[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»[٢].

المعاهد: من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ٥٢٠) ط. ابن رجب، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٥٨)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٤).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٥٩).

الإيمان باليوم الآخر

١٠٨- ونؤمن أن اليوم الآخر آتٍ لا ريب في ذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات].

أي: ما توعدون لصدق، وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب، والله مجاز عباده بأعمالهم(١).

١٠٩- ونؤمن بالأشياء التي ستقع قبل يوم القيامة والأشياء التي ستقع يوم القيامة.

كأشراط وعلامات الساعة، والموت، وفتنة القبر، والنفخ في الصور، والبعث من القبور، والحشر، والموقف، والعرض، والحساب، ونشر الصحف، والميزان، ورؤية المؤمنين ربهم، والقصاص، والشفاعة، والحوض، والمرور على الصراط، وقنطرة المظالم، والجنة والنار، وذبح الموت، وغير ذلك مما جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ونذكر كل ذلك بشيء من التفصيل:

١١٠- نؤمن بأشراط الساعة الكبرى وهي عشر آيات.

والأشراط: جمع شرط وهو العلامة، والمراد بالساعة يوم القيامة، فأشراط الساعة هي العلامات الدالة على قرب يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

ومن علامات الساعة: نزول عيسى -عليه السلام- من السماء إلى الأرض.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ﴾ [الزخرف:٦١].

أي: إن عيسى عليه السلام لدليل على الساعة، وإن عيسى عليه السلام

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٥).

سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة، ﴿ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا ﴾ أي: لا تشكنَّ في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر[١].

وقد أجمع المسلمون على نزوله، فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، ويقتل المسيح الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية[٢]، ولا يقبل إلا الإسلام، فيعمل بشرعة محمد رسول الله ﷺ، ويحكم بالعدل فتكثر الخيرات والبركات[٣]، ويحج ويعتمر[٤]، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يموت كسائر البشر، ويصلي عليه المسلمون[٥].

وقال: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ [النساء:١٥٩].

أي: قبل موت عيسى عليه السلام[٦]، ومن المعلوم أن عيسى لم يُصلب

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٣/ ١١٥-١١٦)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦٨) وغيرهما.

(٢) الجزية: تؤخذ من الحر العاقل البالغ المقاتل عند القدرة على دفعها، ولا تؤخذ من النساء والصبيان والعبيد والمجانين والشيوخ، ولا من العاجز عن دفعها، وتؤخذ الجزية مقابل حماية أرواحهم وأموالهم، وفرض الجزية لا يعني إكراههم على الإسلام، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[البقرة: ٢٥٦]، بل هي من محاسن الإسلام، فقد كان ملوك الروم يأخذون من العاملين نصف أموالهم وأحيانًا يغتصبون منهم مالهم بغير حق. انظر: الولاء والبراء والعداء في الإسلام (ص: ٦٩).

(٣) انظر: صحيح مسلم (١٥٥)، و(٢٩٣٧)، وانظر: صحيح البخاري (٣٤٤٨) وغيرهم.

(٤) انظر: صحيح مسلم (١٢٥٢) وغيره.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٠٦)، وأبو داود (٢٣٢٤)، وغيرهما.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٧)، وجامع البيان (٤/ ٢٤-٢٩).

ولم يُقتل، فلما أراد اليهود قتله رفعه الله تعالى إليه.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

ويخرج المهدي قبل نزول عيسى عليه السلام، ويصلي بعيسى ومن معه إمامًا لهم لبيان فضل أمة محمد رسول الله ﷺ.

والمهدي رجل من أهل بيت النبي ﷺ يملأ الأرض عدلًا، ويخرج المهدى قبل خروج الدجال وقبل نزول عيسى - عليه السلام - ويكون خروج الدجال ونزول عيسى فى زمان المهدى.

قال رسول الله ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**»(١)، وقال ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي** (أي: من نسبي وأهل بيتي)، **مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»(٢)، وقال ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**»(٣).

ومن علامات الساعة: خروج المسيح الدجال.

وهو واحد من البشر، يخرج من قبل المشرق، ويكون معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، فإن أدركه أحد فلا يغتر بجنته ولا يقترب منها فإنها نار، ومعه نهر من ماء أبيض ونهر من نار، من أراد أن يشرب فليشرب من

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٨٥)، وابن ماجه (١٣٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٥).

(٢) صحيح: سنن أبي داود (١١/ ٣٧٣)، وابن ماجه (١٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

النهر الذي يراه نارًا فإنه ماء بارد، وكل ذلك فتنة واختبار لإيمان العباد، هل سيصدقوه أم يصدقوا رسول الله ﷺ الذي أخبرهم أنه الدجال؟!

وأكثر أتباعه النساء واليهود، أعور العين اليسرى[١]، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن وكل أُميّ -لا يعلم القراءة ولا الكتابة- يدخل جميع البلاد إلا مكة والمدينة؛ لأن الملائكة تحرسهما، ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلوه ويقتلون من معه من اليهود حتى يختبئ اليهودي وراء الشجر والحجر، فيقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله، ثم يهلك على يد عيسى عليه السلام، كل ذلك جاء في أحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ[٢].

التعوذ والاحتراز من فتنة الدجال، هي فتنة عظيمة جدًّا، ولذلك علمنا رسول الله ﷺ الاستعاذة منه، فكان يقول في صلاته بعد الانتهاء من التشهد الأخير (التحيات): «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[٣].

---

(١) وفي رواية: «أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى»، أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).
قال القاضي عياض: تجتمع رواية أعور العين اليمنى مع أعور العين اليسرى، إذ كل واحدة منهما بالحقيقة عوراء، إذ الأعور من كل شيء المعيب ... وكلا عيني الدجال معيبة عوراء. إكمال المعلم (١/ ٥٢٢).

(٢) راجع أحاديث صحيح البخاري (٧١٣١)، و(١٨٨١)، ومسلم (٢٩٣٤)، و(٢٩٣٧)، و(٢٩٣٣)، و(٢٩٤٣)، وصحيح سنن أبي داود (٤٣٢٠)، ومسند الإمام أحمد (٢/ ٧)، و(٥/ ٣٨، ٤٣٤)، وغيرها.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

ومن حفظ أول سورة الكهف عصمه الله من الدجال.

قال النبي ﷺ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»(١).

ومن علامات الساعة: خروج يأجوج ومأجوج.

وهما أمتان من أمم بني آدم -أي: من البشر- موجودتان الآن، وقد دل على ذلك القرآن والسنة.

وجاء ذكرهما في سورة الكهف وسورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء].

وقال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾»، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلًا**»(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يحاولون الخروج من السد الذي بناه ذو

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

القرنين بناء على طلب رعيته ليحميهم من شرهم، ففعل كما جاء في سورة الكهف.

قال ﷺ: «فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا[١].

الردم : يعنى السد.

ومن علامات الساعة: طلوع الشمس من مغربها والدابة والدخان، وسائر العشر آيات.

فإذا طلعت الشمس من المغرب أُغلق باب التوبة، فلا ينفع إيمان عبد لم يكن آمن قبل ذلك.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمنَ المقصر أن يزداد خيرُه بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام:١٥٨]»[٣].

وفي رواية أنه ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨١).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص: ٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٠٦)، ومسلم (١٥٧).

وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»[١].

أي: لا تنقطع التوبة إلا بخروج الثلاثة كلهن (الدابة - الدجال - طلوع الشمس من مغربها)، فالمراد هذه الثلاثة بأسرها[٢].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[٣].

١١١- واعلم أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة.

ولا رسول الله ﷺ -الذي هو أفضل الخلق- فالله تعالى لم يخبره بموعد قيام الساعة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾، أي: متى وقتها الذي تجيء به، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٨/ ٣٤٥١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠١) وغيره.

هُوَ﴾، أي: لا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو[١]، الله تعالى.

١١٢- ونؤمن بفتنة القبر والبرزخ، ونعيم القبر وعذابه.

الفتنة: هي الامتحان والاختبار، والبرزخ: الحاجز بين الشيئين من وقت الموت إلى يوم القيامة[٢].

والبرزخ: أعم من القبر؛ لأن البرزخ يراد به ما بين موت الإنسان إلى قيام الساعة.

فليس كل من مات دفن في قبر، فبعض الناس يموت في البحر ويأكله الحوت، ولا يبقى من بدنه شيء فهذا لم يُقبر، وفي بعض البلاد إذا مات الإنسان حرقوه وسحقوه حتى يصير ترابًا، فيوضع في زجاجة، فهذا ليس له قبر.

ولكن هو في البرزخ، والكل سوف يُسأل، سواء دفن في قبر أم لم يدفن، والله على كل شيء قدير.

إلا الشهيد الذى مات فى المعركة[٣] والمرابط[٤] وغيرهما ممن استثناهم

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١١) باختصار.

(٢) القاموس المحيط (ص: ٢٢٦).

(٣) أخرج النسائي (٢٠٥٣)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٣٠)، عن راشد بن سعد، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، أن رجلا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٠٥٣)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٣٨٠).

(٤) أخرج مسلم (١٩١٣)، من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**».

الشرع لا يفتنون في قبورهم.

يسأل العبد ملكان حين يوضع في قبره عن ربه، وعن نبيه، وعن دينه.

قال رسول الله ﷺ: «**وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾** [إبراهيم: ٢٧] الْآيَةُ، قَالَ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ**»(١).

وأما الكافر والمنافق فلا يستطيع الرد، فيُفرش له فرش من النار، ويلبس ثيابًا من نار، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، إلى غير ذلك من ألوان العذاب(٢)، أعاذنا الله تعالى.

الأدلة من الكتاب والسنة على عذاب القبر.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير الآية: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وأبو داود (٤٧٥٣).
(٢) انظر الحديث السابق بطوله.

وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧](١).

وقال تعالى في قوم فرعون: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

وهذه الآية استدل بها أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور(٢)، فهم يعرضون على النار في الصباح والمساء وهم في قبورهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار، وقبيل الموت وبعده(٣).

وقال تعالى في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح:٢٥].

وجمهور العلماء على أن هذه الآية في البرزخ، وتثبيت عذاب القبر(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٧٣/ ٢٨٧١)، واللفظ له.

(٢) راجع تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٦٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٠٥)، ومحاسن التأويل (٥/ ٤٨٧)، وتفسير الألوسي (٦/ ١٢)، وتفسير أبي السعود (٤/ ٩٨)، وغيرها.

وقال جل وعلا في شأن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة].

قال الإمام القرطبي: قيل: العذاب الأول: الفضيحة باطلاع النبي ﷺ عليهم.... والعذاب الثاني: عذاب القبر(١).

والأدلة من السنة على فتنة القبر:

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»(٢).

ومَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**(٣)، **وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»(٤).

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(٥).

وكان ﷺ يقول في الصلاة: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٣) وجه كونه كبيرة أنه لا يتحفظ من البول، فتصل النجاسة إلى بدنه أو ثوبه، فيصلي بالنجاسة، فلا تصح صلاته.

قال النووي في شرح مسلم (٣/ ٢٠١): وسبب كونهما كبيرين أن عدم التنزه من البول يلزم منه بطلان الصلاة، فتركه كبيرة بلا شك.

(٤) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).

(٦) صحيح: تقدم تخريجه.

وغيرها من الأحاديث.

١١٣- ونؤمن بالنفخ في الصور والبعث من القبور.

قال رسول الله ﷺ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(١)، وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق(٢)، يُنفخ فيه فيفزع ويصعق كل من في السموات والأرض من مخلوقات، إلا ما شاء الله تعالى ألا يُصعق.

ثم ينفخ فيه مرة أخرى وهي نفخة البعث، فيبعث الخلق ويقوم الناس من القبور للحساب.

قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن].

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر].

وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس].

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهي النفخة الأخيرة، نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة(٣)، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني: القبور ... ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ يخرجون من القبور يسرعون للحضور بين يدي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠، ٣٢٤٤)، وأحمد (٦٥٠٧، ٦٨٠٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣ / ٢٤٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

الله تعالى[١].

١١٤- والإيمان بالحشر وصفته.

ومعنى الحشر، أي: الجمع، فالله تعالى يجمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»[٢].

١١٥- نؤمن بالوقوف للحساب يوم القيامة.

وهذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، يقوم الخلق فيه لرب العالمين ليحاسبهم (الإنس والجن).

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ]، وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن]، أي: الإنس والجن، وغيرها من الآيات،

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٧٨٧)، وابن كثير (٦/ ٥٨١)، والطبري (٢٠/ ٥٣٠- ٥٣١)، والسعدي (ص: ٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٩).

وهي كثيرة.

وقال رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين]، قال: «**يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(١)، أي: أن الإنسان يغرق في عرقه حتى يصل عرقه إلى أذنيه من شدة الخوف والتعب.

وقال ﷺ: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**»(٢).

١١٦- والإيمان بالعرض والحساب ونشر الصحف.

ما من أحد إلا ستعرض أعماله على الله عز وجل، وما من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبين الله ترجمان أو أحد يدافع عنه، وما من أحد إلا سيحاسبه الله، وستنشر الصحائف التي كتبت فيها الملائكة أعمال العباد، فالسعيد من يأخذ كتابه بيمينه، والشقي من يأخذ كتابه بشماله.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة].

وقال الله جل ثناؤه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

وقال رسول الله ﷺ: «**يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ،**

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ»[١].

أصل الكنف في اللغة: ناحية الشيء، وكنف الله تعالى رحمته، أي: يستره، قاله ابن المبارك[٢].

أما دليل نشر الصحف من الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف:].

وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾ [الانشقاق].

١١٧- والإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن.

قد أخبر الله تعالى أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) انظر: اللسان (٧/ ٧٤٤)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١٤٣).

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

وقال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»(١).

وأما الكفار، فقد قال الله تعالى في شأنهم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف]»(٢).

فالأعمال الصالحة التي عملها الكافر في الدنيا -من اختراعات نفعت البشر، أو مساعدة الناس بالمال، أو غير ذلك من أعمال كان يريد بها الدنيا ومتعها الفانية لا يريد بها الآخرة- فالله جل جلاله يكرمه ويعطيه في الدنيا من أصناف النعم بقدر ما قدم من خير للناس، فيعطيه مالًا، جمالًا، صحةً، أولادًا، شهرةً، حب الناس، إلى غير ذلك من متاع الحياة الدنيا، فلا يظلم الله تعالى أحدًا.

قال الله جل ذكره: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ [هود: ١٥].

١١٨- ونؤمن بالقصاص.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٣١ - ٢٦٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

وهذا من كمال عدل الله تعالى، أن يقتص للمظلوم من الظالم، فيأخذ المظلوم من حسنات الظالم بقدر ما ظلمه، فإذا فنيت حسنات الظالم وبقي للمظلوم حق، أُخذ من سيئات المظلوم وأضيفت إلى سيئات الظالم ثم يلقى في النار.

فاحذر من ظلم العباد بأخذ أموالهم، أو التكلم في أعراضهم، احذر من الغيبة والنميمة وسب ولعن المسلمين، وغير ذلك من أفعال أو أعمال تكون سببًا في ذهاب حسناتك إلى من ظلمتهم.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ الآية [غافر: ٢٠]، وقال: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزمر: ٦٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(٢).

أي: يطلب ممن ظلمه أن يسامحه ويعفو عنه، وإن كانت المظلمة مادية -مالًا، أرضًا- أو غيرها ردها له، ولا بد من ذلك.

١١٩- ونؤمن بالحوض والشرب منه.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٦ - ٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله للنبي ﷺ، ماؤه يصب في الحوض، ويطلق على هذا الحوض الكوثر لكونه يمد منه[١][٢].

قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ**»[٣].

وقد سبق بيان أنه ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج دخل الجنة، ورأى النار.

وقال رسول الله ﷺ -في وصف الحوض-: «**مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**»[٤].

١٢٠- ونؤمن بالمرور على الصراط وهو جسر فوق النار.

معنى الصراط: أي الطريق، فالصراط جسر ممدود فوق نار جهنم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وقال أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأَحَدُّ من السيف»[٥]، يمر عليه كل البشر، وعليه

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٣٠١)، (٣٦- ٢٣٠٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٧٤) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٧١) موقوفًا على أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خطاطيف من حديد تخطف الكفار والمنافقين فيسقطون في النار، وينجي الله المؤمنين، أما عصاة المسلمين فبعضهم يسقط في النار ثم يخرجون منها إما بالشفاعة أو بإنهاء مدة العقوبة في النار، وأول من يمر على الصراط النبي ﷺ والمؤمنون.

قال رسول الله ﷺ: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١).

ويُعطى كل إنسان نورًا على الصراط على قدر عمله، وتكون سرعة المرور على الصراط على قدر هذا النور.

أما النور، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

قال ابن مسعود الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾، قال: «عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يَتَّقِدُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ أُخْرَى»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**» ... إلى قوله: **فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ** ...» الحديث(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢)، (٣١٦-١٩١).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ٤٠٦).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

أجاويد الخيل، أي: الخيل السريع.

١٢١- والإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان الآن، وأنهما باقيتان ولا تفنيان أبدًا.

الجنة دار النعيم الدائم للأبرار المتقين، يتنعم المؤمن فيها بجسده وروحه، من دخلها لا يصيبه الكبر ولا يمرض ولا يموت، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال أحد.

أما أدلة وجود الجنة والنار الآن، فهي كثيرة، منها:

قول الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى لآدم عليه السلام: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وذلك قبل أن يأكل من الشجرة ويخرج من الجنة.

وقال النبي ﷺ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١، ٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٨) مختصرًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»[١].

الزمهرير: شدة البرد.

أما الأدلة على عدم فناء الجنة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [النساء: ٥٧].

وقال تعالى في شأن الصادقين: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [البينة: ٨]، وغيرها كثير.

وأما دليل بقاء النار وعدم فنائها.

قول الله تعالى في شأن الكفار: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ [النساء: ١٦٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤﴾ [الزخرف].

وغيرها من الآيات.

١٢٢- ونؤمن إيمانًا جازمًا برؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في الآخرة.

وهذه أعظم نعمة على الإطلاق، فهي أعظم من الجنة وما فيها من ألوان وأصناف النعيم، فأحب شيء إلى المؤمن رؤية ربه عز وجل.

قال الله تعالى ذكره: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة]، فجمع الله لأهل الجنة بين الجمال الظاهر وهو نضارة الوجوه، وجمال الباطن وهو رؤية ربهم، فلا أجمل ولا أعظم ولا أحلى ولا أنعم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

للقلب من النظر إلى الله تعالى[١].

وقال الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال أهل التفسير: للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه والفوز برضاه[٢].

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[٣].

والمعنى: إنكم كما ترون القمر ليلة البدر، أي: ليلة أربع عشرة عندما يكون القمر مكتملًا، فالكل يراه في السماء بلا مشقة -وهو تشبيه للرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي- أي: أن النبي أراد أن يبين أن رؤية ربنا تعالى يوم القيامة وفي الجنة ستكون ميسرة بلا مشقة؛ كرؤيتنا للقمر ليلة البدر بلا مشقة.

وقال النبي ﷺ: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»[٤].

أما الكفار فلا يرون الله تعالى، قال الله عز وجل في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].

---

(١) ملتقط من تفسير السعدي (ص: ٣٦٢) بتصرف.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٣٠)، وجامع البيان (١٢/ ١٥٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٦٢)، وغيرها.

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٨١).

١٢٣- ونؤمن بالشفاعة، وأنها أنواع.

والشفاعة يوم القيامة ثابتة للأنبياء والرسل والملائكة والشهداء والصالحين، وهم يشفعون عند الله ويسألونه الخير للعباد.

واعلم أن الشفاعة لله وحده، ولا تكون إلا بشرطين:

الأول: الإذن من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، وغيرها من الآيات.

الثاني: رضا الله عن المشفوع فيه، والله لا يرضى إلا عن الموحدين المخلصين، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

فالشفاعة لا تكون لكافر بإخراجه من النار ودخوله الجنة، قال تعالى في الكافرين: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر]، وقال عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله في الآية: إن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ كما أن فيها إثبات الشفاعة للشافعين، ومفهوم كونها لا تنفع الكفار أنها تنفع غيرهم[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي**

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٣٦٧).

أَفْوَاهِ الْجُنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ» إلى قوله: «يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجُنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجُنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»[1].

عادوا حممًا: أي احترقوا في النار حتى صاروا كالفحم.

وهذا الحديث وغيره حجة على بعض الفرق الضالة؛ كالخوارج الذين قالوا: من مات على كبائر الذنوب يُخلد في النار كالكفار. ورد على غلاة المرجئة الذين قالوا: لا يدخل مسلم النار، والحديث دل على أن من المسلمين من يدخل النار، ويخرج منها.

أنواع الشفاعة:

منها شفاعة النبيين والملائكة والمؤمنين، كما في الحديث المتقدم، وشفاعتهم تكون بعد شفاعة النبي ﷺ.

وقد جعل الله تبارك وتعالى لنبينا أنواعًا من الشفاعة، وهي:

أولًا: الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي ذُكر في القرآن:

قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء]، يشفع النبي ﷺ للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، فيسأل الله تعالى أن يفصل ويحكم بين الناس، ففي هذا اليوم يبلغ الناس من الغم والهم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يتحملون، فيأتون الأنبياء: آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ابن مريم، وكلهم يقولون: نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى نبينا ﷺ، فيأتي فيسجد تحت عرش الرحمن، فيفتح الله له من أنواع الثناء والحمد ما لم يكن يعلمها من قبل، حتى يُقال له: «ارْفَعْ

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[١].

ثانيًا: الشفاعة في فتح باب الجنة لمن يدخل الجنة من الأمم، وأول أمة تدخل الجنة هي أمته ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»[٢].

ثالثًا: الشفاعة في من لا حساب عليهم فيدخلون الجنة.

وهم سبعون ألفًا من أمته ﷺ، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما دلت الأحاديث على ذلك[٣].

رابعًا: الشفاعة في رفع درجات أقوام.

فيشفع لبعض المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات، ويستدل لذلك بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ**»[٤]، وقال ﷺ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ، واجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ**»[٥].

خامسًا: الشفاعة في أهل الكبائر.

قال رسول الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[٦]، وغيره[١].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٣٤٠، ٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٥١٥، ٧٥١٦)، ومسلم (١٩٢، ١٩٣، ١٩٤)، وغيرها.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٥٧٠٥، ٥٨١١)، ومسلم (٢٢٠، ٢١٦).

(٤) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٣٢)، ومسلم (١٦٥ - ٢٤٩٨).

(٦) صحيح سنن أبي داود (٤٧٣٩)، ومسند الإمام أحمد (٣/ ٣١٣).

أي: «الشفاعة التي أعطانيها الله تعالى، ووعدني بها لأمتي أدخرها (لأهل الكبائر من أمتي)، أي: الذين استوجبوا النار بذنوبهم الكبائر فلا يدخلون النار.

وأُخرج من أدخلته كبائر ذنوبه النار ممن قال: لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله. كذا في السراج المنير»[٢].

سادسًا: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار.

كشفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب مع خلوده في النار.

قال رسول الله ﷺ وقد ذُكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[٣]، وغيره[٤].

١٢٤- ونؤمن بذبح الموت بين الجنة والنار، والله على كل شيء قدير.

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى**

=

(١) انظر: صحيح البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، (٢٠١).

(٢) انظر: عون المعبود (١٣/ ٥١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

(٤) انظر: البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣).

فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»[١].

١٢٥- واعلم أن الله يقبل التوبة من جميع الناس ما لم تطلع الشمس من مغربها، وما لم تبلغ الروح الحلقوم عند رؤية ملك الموت.

والتوبة واجبة على جميع العباد، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١].

ومن رحمة الله تعالى أن دعا جميع الناس إلى التوبة -العاصي والمنافق والكافر- مع عظم ذنوبهم، ومن كرمه ولطفه ووده أن وعدهم بمغفرة ما سبق من معاصٍ وكفر، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال سبحانه وتعالى لمن زعم أن لله ولدًا وأن الله ثالث ثلاثة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

وقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ووعد التائب أن يبدل سيئاته حسنات، قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»[٢].

ولا تنفع التوبة ولا تقبل إذا طلعت الشمس من مغربها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ[1].

وإذا رأى العبد ملك الموت فلا توبة له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ﴾ [النساء: ١٧ - ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله: إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة، ثم يتوب ولو قبل معاينة الملك لقبض روحه قبل الغرغرة.

وشروط التوبة:

إن التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق الناس، فلا بد من ثلاثة شروط:

الأول: أن يترك المعصية؛ لأن معنى التوبة: الرجوع من معصية الله إلى طاعته.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

الثاني: أن يندم على فعل المعاصي؛ لأن الندم يجعله يصدق في توبته فلا يعود للذنب.

الثالث: أن يعزم أن لا يعود إليه أبدًا، فإن فُقد شرط من الثلاثة لا تصح توبته.

فإن كانت تتعلق بحق إنسان فيضاف إلى هذه الشروط الثلاثة شرط رابع، وهو رد الحقوق لأصحابها، فإن كان مالًا رده إليه، وإن كان غيبة أو نميمة أو قذفًا لعرضه أو عرض أهله، وما أشبه ذلك، طلب منه أن يعفو عنه وأن يسامحه[1].

(١) راجع شروط التوبة النصوح: مدارج السالكين (١/ ٢٨١) وما بعدها.

الإيمان بالقدر

١٢٦- ونؤمن بالقضاء والقدر.

والقضاء: هو حكم الله تعالى، والقدر: ما قدره سبحانه وتعالى من أمور[١]، نؤمن بأن الله تعالى يفعل ما يشاء، ولا يكون شيء في العالم إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته، فلا شيء يخرج عن تقديره ولا تدبيره.

فالله تعالى خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء][٢].

قال أهل التفسير: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لعظمته وعزته وكمال قدرته ولكمال حكمته ووضعه الأشياء مواضعها، وإتقانها، أحسن كل شيء خلقه[٣]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

مثال للتوضيح:

لو عُلم عن رجل أنه حكيم ورحيم، ويمتاز بالذكاء، وحسن التصرف والتدبير إلى غير ذلك من صفات حميدة جميلة، ثم صدر منه شيء لا يوافق عقلك، هل ممكن لعاقل أن يسأله ويناقشه لماذا فعلت هذا؟!

والجواب: لا، لماذا؟ لأن العاقل يعلم علم اليقين أن هذا الرجل أفعاله وأعماله صادرة عن حكمة ورحمة وذكاء وعلم، وأنه مهما بلغ من العلم والمعرفة لن يصل لأدنى درجة وصل لها هذا الرجل، ولذلك لا يسأله عن أفعاله، ولله المثل الأعلى، فالله جل جلاله هو الحكيم على الحقيقة، وهو

---

(١) انظر: اللسان (٧/ ٢٦٢)، والصحاح للجوهري (ص: ٨٦٧)، وفتح الباري (١١/ ٤٨٦).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة بشرح العثيمين (ص: ٩١) بتصرف.

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢١)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٨٧).

العليم الخبير، يعلم ما يصلح العباد وما لا يصلحهم، وهو الغني عنهم وعن عذابهم وشقائهم، خلق المعاصي والمصائب والشر لحكم كثيرة، منها:

اختبار العباد حتى يميز الصادق من الكاذب، قال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت].

خلق الطاعات والخير، وأراد لعباده الخير فأرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب، ويسر لهم طريق الهداية، وأراد لهم التوبة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء].

ومع عظم جنايتهم وكثرة ذنوبهم، يقبل توبة التائب، بل ويبدل سيئاته حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، فأي كرم وأي رحمة وأي إحسان وعفو بعد هذا، وهو الملك القوي العزيز الجبار الكبير المتعال.

ولذلك قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء].

أدلة الإيمان بالقدر من القرآن:

قال الله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٤٧﴾ [النساء]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

وهذه الآية عامة لجميع المصائب؛ في النفس، والمال، والأولاد، والأحباب، فكل ما أصاب العباد فبقضاء الله وقدره.

وعلى العاقل أن يرضى بقضاء الله، فإذا آمن أن المصيبة من عند الله - أصابه لحكمة- هدى اللهُ قلبَه فاطمأن عند المصائب وصبر ورضي، فينال الثواب والأجر العظيم(١).

الأدلة من السنة على الإيمان بالقدر:

قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**اسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**وَاعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(٤)، وغير ذلك.

فلا تندم ولا تحزن بعد القضاء، بل ارض بما قُدر لك، فكل أقدار الله خير، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٥).

---

(١) راجع: تفسير السعدي (ص: ٨٦٧)، والقرطبي (١٨/ ١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) صحيح: سنن أبي داود (٤٦٩٩)، وغيره.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

١٢٧- واعلم أنه لا يتم إيمان عبد بالقدر إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بعلم الله تعالى: وأن علمه محيط بكل شيء، وأنه عَلِمَ كل شيء عن خلقه قبل أن يخلقهم، علم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأفعالهم وأعمالهم[١]، علم حركاتهم وسكناتهم، وأسرارهم وعلانيتهم، لا تخفى عليه خافية.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال: ﴿لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

وغيرها من الآيات وهي كثيرة جدًّا.

وفي صحيح البخاري ومسلم: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَيُعْرَفُ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ العَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ: لِمَا يُسِّرَ لَهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الجَنَّةِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَلاَ نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الليل] الآيَةَ»[٣].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٦)، ومسلم (٢٦٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٦٠٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذه الأحاديث جيدًا، فكانوا أكثر الناس اجتهادًا في طاعة الله، ولم يفهم أحد منهم قط من الآيات والأحاديث أنه مجبر أو مسير، فانتبه.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء.

اللوح المحفوظ: هو الكتاب الذي كتب الله فيه مقادير الخلق قبل أن يخلقهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج].

قال الإمام البغوي رحمه الله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ[1].

وقال تبارك اسمه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وقال رسول الله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**، -قَالَ:- **وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[2]، وغيره.

الثالث: أنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بمشيئة الله وإرادته.

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالله تعالى لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، وأن للعبد مشيئة، قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ

---

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان]، فجعل مشيئة العبد تبعًا لمشيئة الله تعالى، فالعبد ليس مسيرًا أو مجبرًا على فعل الطاعات أو ترك المعاصي.

الرابع: أن الله خالق كل شيء.

ما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها، وخلق العباد وأعمالهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فعمل العبد من طاعة أو معصية أو غير ذلك مخلوق؛ لأن أفعال العبد صادرة عن صفاته، وصفاته مخلوقة، خلقها الله عز وجل، لكن الذي يقوم بعمل الطاعة أو المعصية هو العبد نفسه، ولذلك نسب الله إليهم الأفعال، قال الله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [إبراهيم: ٥١]، ونُسبت إلى الله خلقًا وتقديرًا، أي: أنه سبحانه هو الذي خلق أفعال العباد وقدرها، قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان].

١٢٨- واعلم أن الإيمان بالقدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية.

فلا أحد يفهم خطأ من الآيات والأحاديث التي ذكرناها وغيرها أنه مُجبر ومُسيَّر، ولا اختيار له؛ لأمور:

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾ [طه]، أي: تجزى بسعيها وعملها عن اختيار منها، فالعبد هو الذي يسعى في فعل الخير أو الشر.

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]، فلو لم يكن للعبد قدرة واختيار في فعل الطاعة أو المعصية ما نُسب إليه الكسب، فدل على أن للعبد فعلًا وكسبًا يُجزى على حُسنه بالثواب وعلى

سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

٢- أن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع، وهذا من كمال رحمته بعباده.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ولو كان مجبورًا ما كان مستطيعًا على الفعل أو الترك[1].

٣- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قُدّر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فلماذا سلك طريق الخطأ ثم احتج بالقدر المجهول بالنسبة له؟!

ولماذا في أمور الدنيا نأخذ بالأسباب إلى أقصى درجة في السعي لكسب المال أو التعليم أو الشفاء من الأمراض وغير ذلك من أمور الدنيا، لماذا لم نترك الأسباب ونحتج بالقدر ونقول: الله قدر كل شيء ويعلم ما سيكون إلى غير ذلك؟ هل سمعنا عن عاقل ترك الطعام والشراب وقال: العمر مكتوب؟ هل سمعنا عن إنسان حبس نفسه في حجرة وقال: الأرزاق مكتوبة؟ فلماذا لم نحتج بالقدر في أمور الدنيا، ثم عند الأمر والنهي نقول: ربنا يهدينا، والهداية مكتوبة، نعم مكتوبة، لكن لا بد أن نسعى كسعينا للدنيا، فنفعل ما أُمرنا به من طاعات ونترك ما نهينا عنه من المعاصي كي يهدينا الله عز وجل.

واحذر فكر بعض الفرق الضالة الذين يقولون: إن العبد مجبور على فعله، وليس له اختيار في أي عمل.

---

(١) راجع: شرح لمعة الاعتقاد (ص: ٩٢-٩٥).

وهذا من أعظم الكذب والافتراء على الله تبارك وتعالى.

مثال للتوضيح:

لو أن رجلًا صاحب مصنع أجبر العمال على عدم الذهاب للعمل، ثم علمنا أنه أنزل عليهم أشد العقوبات لعدم ذهابهم إلى المصنع، ماذا سنقول في هذا الرجل؟

حتمًا سنقول: إما سفيه، أو ظالم، كيف يجبر العمال على عدم العمل ثم يعاقبهم على شيء أجبروا عليه؟!

ولله المثل الأعلى، فالإنسان لا يقبل هذا الظلم من البشر، فكيف ينسبه لله تعالى، وهو يعلم أنه سبحانه الحكيم الخبير الرحيم الحميد الملك الحق، كيف يُجبر عباده على المعاصي ثم يعذبهم؟! تعالى الله عن الظلم -وإن كان مثقال ذرة- علوًّا كبيرًا، فنقول لهؤلاء: نفيتم الظلم عن العباد ونسبتموه لله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾ [آل عمران: ١٨٢، والأنفال: ١٥]، وغيرها من الآيات.

تم بحمد الله تعالى

الفهرس

من إصدارات المؤلفة ٣
المقدمة ٥
الإيمان بالله ١٠
الإيمان بالملائكة ٦٧
الإيمان بالكتب ٧٦
الإيمان بالرسل ٨١
فصل: في وجوب اتباع النبي ﷺ والتمسك بسنته ٩٤
فصل: في الواجب علينا نحو أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته والمسلمين ١٠٤
الإيمان باليوم الآخر ١٢٠
الإيمان بالقدر ١٥٠
الفهرس ١٥٩